وثائق عامّة

البابا يوحنا بولس الثانيّ

"لِيَكونوا واحدًا"
في التزام العمل المسكوني

روما، ٢٥ أيّار ١٩٩٥

"لِيَكونوا واحدًا"

توطئة

١- «ليكونوا واحدًا»! النّداء إلى وحدة المسيحيّين الّذي عاد المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني المسكونيّ وطَرحَه بعَزْم وحِرْص، ما بَرِحَت أصداؤه تتردّد دومًا بشدّة في قلوب المؤمنين، وبخاصّة مع اقتراب العام الألفين الّذي سيكون لهم يوبيلًا مقدّسًا، في ذكرى تَجسُّد ابن الله الّذي صار إنسانًا، ليُخلّص الإنسان.

إنّ الشّهادة الشّجاعة للعديد من شهداء عصرنا، بمن فيهم أعضاء كنائس وجماعات كنسيّة أخرى ليست في شركة كاملة مع الكنيسة الكاثوليكيّة تُعطي النّداء المَجمعيّ عزْمًا جديدًا. تُذكّرنا هذه الشّهادة بواجب تقبّل إرشاده ووضعه حيّزَ التّنفيذ. إنّ إخوتنا وأخواتنا الّذين قرّبوا حياتهم معًا بسخاء من أجل ملكوت الله، يشهدون بأوضح تعبير أنّ عوامل التّفرقة كلّها يُمكن تجاوزها والتّغلُّب عليها بالعطاء الكلّيّ للذّات من أجل الإنجيل.

يدعو المسيح جميع تلاميذه إلى الوحدة. إنّ الرّغبة الملِحّة الّتي تحُثّني هي أن أُجدّد اليوم هذه الدّعوة وأُكرّرها بثبات. وسأُذكّر بما أُتيح لي أن أشير إليه في الملعب الرّوماني (الكولوسيوم)، يوم الجمعة العظيم المقدّس سنة ١٩٩٤، في ختام تأمّل درب الصّليب، مستَوحيًا بكلمات أخي الموقَّر برثلماوس، بطريرك القسطنطينيّة المسكونيّ. في هذه المناسبة، أكَّدتُ أنّ المؤمنين بالمسيح، الّذين وحَّدَهُم السّبيل الّذي رسمه الشّهداء، لا يُمكنهم أن يبقوا منقسمين. وإذا أرادوا حقًّا وبفعاليّة أن يتصدّوا لِمَيل

العالَمَ الّذي يسعى إلى جَعْل سرّ الفداء عديم الجدوى، **فعليهم أن يُجاهروا معًا بحقيقة الصّليب**[1]. الصّليب! يبغي التَّيّار المُناهض للمسيحيّة نكران قيمته وتفريغه من معناه، ويرفض أن يجد فيه الإنسان جذور حياته الجديدة، ويزعم أنّ الصّليب لا يُمكنه فَتْحَ آفاق وآمال: فالإنسان، على حدّ قولهم، ليس سوى كائن أرضيّ عليه أن يعيش وكأنّ الله غير موجود.

٢– لا يخفى على أحد أنّ هذا كلّه يُشكِّل تحدّيًا للمؤمنين. فلا يسعُهم، والحالة هذه، إلّا أن يقبلوا هذا التّحدّي. كيف لا يُمكنهم أن يفعلوا ما في وسعهم، بعون الله، ليهدموا جدران الانقسام والحَذَر، ويتغلّبوا على العوائق والأحكام المسبقة الّتي تمنع البشارة بإنجيل الخلاص بواسطة صليب يسوع، الفادي الأوحَد للإنسان، كلّ إنسان؟

أشكر الرَّبّ الّذي حثّنا على المضيّ في هذه الطّريق الصّعبة، طريق الوحدة والشّركة بين المسيحيّين، ولكنّها طريق مليئة بالفرح. لا شكّ في أنّ الحوارات اللّاهوتيّة بين الطّوائف قد أتت بثمار إيجابيّة وملموسة. وهذا ما يُشجّعنا على السّير قُدُمًا.

ومع ذلك، وأبعد من التّباينات العقائديّة الواجب التّغلُّب عليها، لا يُمكن للمسيحيّين أن يستخفّوا بثقل الموروثات وعدم التّفهُّم الّتي ورِثوها عن الماضي، وسوء التّفاهم والأحكام المسبقة، بعضهم ضدّ بعضهم الآخر. فما يزيد من خطورة هذه الحال، في أغلب الأحيان، هو الجمود واللّامبالاة والافتقار إلى المعرفة المتبادلة. لهذا السّبب، يجب أن يكون الالتزام المسكونيّ مبنيًّا على ارتداد القلب والصّلاة، اللّذَيْن

[1] أُنْظُرْ خطاب البابا يوحنّا بولس الثّاني في ختام دَرْبِ الصّليب، يوم الجمعة العظيم المقدّس (الأوّل من نيسان ١٩٩٤، رقم ٣؛ أُنْظُرْ أيضًا: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ» ٨٧، ١٩٩٥، ص ٨٨.

يقودان إلى ضرورة تنقية الذّاكرة التّاريخيّة. بنعمة الرّوح القدس، يُدعى تلاميذ الرَّبّ، الّذين أنعشتهم المحبّة وشجاعة الحقيقة والإرادة الصّادقة في الغفران المتبادل والمصالحة، إلى إعادة النّظر معًا في ماضيهم المؤلم، وفي الجراحات الّتي ما برحوا يثيرونها حتّى يومنا هذا.

إنّ حيويّة الإنجيل الدّائمة التّجدُّد تدعوهم إلى الإقرار معًا، بموضوعيّة صادقة وكاملة، بالأخطاء الّتي ارتُكبت والعوامل الملازِمة الّتي تسبّبت في انقساماتهم المؤسفة. يجب أن نتحلّى بنظرة واضحة وهادئة في الحقيقة، تُحييها الرّحمة الإلهيّة، القادرة على تحرير الأذهان وتُجدّد في كلّ منّا استعداده للتّبشير بالإنجيل للبشر من جميع الشّعوب والأمم.

٣– تعهّدت الكنيسة الكاثوليكيّة، إبّان المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني، بطريقة لا رجوع عنها، أن تسلك طريق البحث المسكونيّ، مُصغِيَة إلى روح الرَّبّ الّذي يُعلّم أن نقرأ بكلّ انتباه «علامات الأزمنة». فالاختبارات الّتي عاشتها خلال هذه السّنوات والّتي ما برِحَت تعيشها قد أنارت بعُمق أكثر هُويّتها ورسالتها في التّاريخ. وتُقِرّ الكنيسة الكاثوليكيّة وتعترف بأوهان أولادها، يقينًا منها أنّ خطاياهم تُشكّل خيانات وعوائق تعترض تنفيذ قصْدِ المخلّص. وبما أنّها تشعر دومًا بأنّها مدعوّة إلى التّجدُّد الإنجيليّ، فهي لا تني إذًا تُكفّر عن الخطايا. وفي الوقت عينه، تعترف بعظمة الرَّبّ وتُشيدُ بها أكثر فأكثر، إذ غمرها بعطيّة القداسة، وجذبها التّمثُّل بآلامه وبقيامته.

إنّ الكنيسة، الّتي علّمتها أحداث تاريخها العديدة، وجب عليها أن تتحرّر من كلّ سَندٍ بشريّ بَحْت، لتحيا في العمق قانون التّطويبات الإنجيليّة. ولأنّها تعلم «أنّ

الحقيقةَ لا تَفْرضُ ذاتها إلّا بقوّةِ الحقيقة نفسِها، الّتي تخترق حُجُبَ النّفوس بعذوبةٍ وشدّةٍ معًا»[٢]، فهي لا تطلب شيئًا لنفسها إلّا حرّيَّة التّبشير بالإنجيل. وتستعمل سلطتها في خدمة الحقيقة والمحبّة.

إنّي أرغب، أنا نفسي، في تعزيز كلّ خطوة مفيدة حتّى تُفهَم شهادة الجماعة الكاثوليكيّة بأسرها في نقاوتها وتناسقها الكاملَيْن، ولا سيّما في سبيل الموعد الّذي ينتظر الكنيسة عند عتبة الألف الجديد، تلك السّاعة الفريدة الّتي من أجلها تطلب من الرَّبّ أن تتقدّم وحدة المسيحيّين حتّى تبلغ ملء الشّركة[٣]. هذا الهدف النّبيل للغاية، تسعى إليه هذه الرّسالة البابويّة: فهي تبغي بطابعها الرّاعويّ المحض، أن تُسهم في مساندة جهود جميع الّذين يعملون من أجل قضيّة الوحدة.

٤ – إنّ في ذلك مهمّة واضحة لأسقف روما بصفته خليفة الرّسول بطرس. لذا، أقوم بهذه المهمّة، بقناعة عميقة بطاعة الرّب، وواعيًا ضعفي البشريّ. في الواقع، إذا أوكل المسيح نفسه إلى بطرس هذه الرّسالة الخاصّة في الكنيسة وأوصاه أن يُثبّت إخوته، فقد جعله يختبر في الوقت عينه ضعفه البشريّ وحاجته الماسّة إلى التّوبة: «أنتَ ثَبّت إخوتَك متى رَجَعت» (لو ٢٢، ٣٢). وفي ضعف بطرس البشريّ يتّضح تمامًا أنّ البابا، إذا أراد أن يُتمّم خدمته الخاصّة في الكنيسة، لا بدّ له من أن يَتّكِل على نعمة الرَّبّ وصلاته: «لكنّي دَعَوْتُ لكَ أَلّا تَفقِد إيمانَك» (لو ٢٢، ٣٢). في هذا السّياق، تجد توبة بطرس وخلفائه سندًا في صلاة الفادي نفسه، وتُشارك الكنيسة

---

[٢] أُنْظُرْ: **المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني**، «الحرّيّة الدّينيّة»، رقم ١.

[٣] أُنْظُرْ: رسالة البابا يوحنّا بولس الثّاني الرّسوليّة، **إطلالة الألف الثّالث**، منشورات اللّجنة الأسقفيّة لوسائل الإعلام، جلّ الدّيب، لبنان، رقم ١٦؛ أُنْظُرْ أيضًا: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٨٧، ١٩٩٥، ص ١٥.

دومًا في هذا الابتهال. ويتعهّد أسقفُ روما بالرّسالة، في عصرنا المسكونيّ، الّذي وَسَمه المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني بطابعه، ليُذكّر بضرورة ملءِ الشّركة بين تلاميذ المسيح.

ينبغي لأسقف روما أن يتبنّى، بكلّ وَرَعٍ، صلاة المسيح للتّوبة، الّتي هي ضروريّة لِـ«بطرس» كي يستطيع أن يَخدُمَ إخوته. إنّي أسأل من كلّ قلبي أن ينضمّ إلى هذه الصّلاة مؤمنو الكنيسة الكاثوليكيّة وجميعُ المسيحيّين. فَلْيصلِّ الجميع معي من أجل هذه التّوبة!

نعلم جيّدًا، أنّ الكنيسة، في مسيرتها الأرضيّة، قد واجهت وسوف تواجه معارضات واضطهادات. بيد أنّ الرّجاء الّذي يسندها لا يتزعزع، وأنّ الفرح النّاجم عن هذا الرّجاء لا يزول. في الواقع، إنّ الصّخرة المتينة والأزليّة الّتي بُنيَت الكنيسة عليها هي يسوعُ المسيح، ربُّها.

الفصل الأوّل

الالتزام المسكونيّ للكنيسة الكاثوليكيّة

(تدبير الله والشّركة)

٥– تبني الكنيسة الكاثوليكيّة التزامها المسكونيّ، على مُخطَّط الله، مع جميع تلاميذ المسيح، من خلال جَمعِهم كلّهم في الوحدة. الكنيسة واقع لا ينطوي على نفسه، بل بالأحرى مُنفتحة دومًا على حَيويّتها الرّسوليّة والمسكونيّة، إذ أُرسِلت إلى

العالَمَ لتُعلن سِرّ الشّركة الّذي تتكوّن منه، ولتشهد له وتجعله حاضرًا وتنشره، كي تَضُمَّ الجميع في المسيح، وتكون للجميع سرًّا لا ينفصل عن الوحدة[٤].

لجأ النّبيّ حزقيال، في العهد القديم، حينما استحضر واقع شعب الله، إلى رمزيّة قطعتَي الخشب البسيطة، اللّتَيْن كانتا أوّلًا متميّزتَيْن، ثمّ تقاربتا الواحدة من الأخرى، للتّعبير عن الإرادة الإلهيّة في أن يجمع من كلّ صَوْب، أعضاء شعبه المُمزَّق: «فيكونون لي شعبًا وأكون لهُم إلهًا. فتعلَم الأمَم أنّي أنا الرَّبُّ المقدِّس لإسرائيل» (راجِعْ: حز ٣٧: ١٦-٢٨). ويرى إنجيل يوحنّا في موت يسوع، من جهته، إزاء واقع شعب الله في زمنه، حافزًا لوحدة أبناء الله: «سيموت يسوع عن الأُمّة، وليس عن الأُمّة فحسب، بل ليجمَعَ أيضًا شَمْلَ أبناء الله المُشتَّتين» (يو ١١: ٥١-٥٢). تمامًا كما ستشرح الرّسالة إلى الأفسُسيّين: إذ «هَدَمَ في جسده الحاجز الّذي يَفصِلُ بينهما... بالصّليب وبِهِ، وقضى على العداوة»، وجَعَلَ ما كان مُنقسِمًا، جماعة واحدة (راجِعْ: أفس ٢: ١٤-١٦).

٦- يريد الله وحدة كلّ البشريّة المَمَزَّقة. لذلك أرسل ابنه لكي يمنحنا، بموته وقيامته من أجلنا، روح محبّته. وعشيّة ذبيحة الصّليب، طَلَبَ يسوع نفسُه إلى الآب من أجل تلاميذه، ومن أجل جميع الّذين سيُؤمنون به، كي يكونوا واحدًا، في شركة حيّة. ما ينجم عن ذلك ليس الواجب فحسب، بل المسؤوليّة أيضًا أمام الله ووفقًا لمُخطَّطه، ومسؤوليّة الّذين واللّواتي أصبحوا جسد المسيح بالمعموديّة، الجسد الّذي يجب أن تتحقّق فيه كاملةً المصالحة والشّركة. فكيف يُمكن من بعدُ أن نبقى

---

[٤] أُنْظُرْ: مَجمع عقيدة الإيمان، رسالة إلى أساقفة الكنيسة الكاثوليكيّة حول بعض أوجه الكنيسة في مفهومها كشركة (*communionis notio*)، ٢٨ أيّار ١٩٩٢، رقم ٤؛ أُنْظُرْ أيضًا، مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٨٥، ١٩٩٣، ص ٨٤٠.

منقسمين، إذا كنّا بالمعموديّة قد «دُفِنّا» في موت الرّبّ، أي في العمل الّذي نقض به الله حواجز الانقسام؟ «إنَّ مثلَ هذا الانقسامِ يتعارضُ صراحةً مع إرادة المسيح؛ وهو للعالم حجرُ عِثارٍ، وعقبةٌ في طريقِ أقدس الغايات، أي الدّعوةِ بالإنجيل في الخليقة كُلِّها»[٥].

(الطّريق المسكونيّ: طريق الكنيسة)

٧– «بيدَ أنَّ سيّدَ العُصورِ الّذي لا يني، بحكمةٍ وطولِ أناة، يواصلُ إتمامَ مقاصدِ نعمتِه تُجاهَنا نحن الخطأة، قد بدأ، في هذه الأزمنةِ الأخيرة، يُفيضُ بغزارةٍ، في المسيحيّين المتَشاقّين، روحَ التّوبةِ ورغبةَ الاتِّحاد. وإنَّهم لَكثيرون أولئك الّذين، في كلِّ مكان، حرَّكَتْهم هذه النّعمة، فظهرَ بغتةً، بفعلِ الرّوح القدس، حَراكٌ بين الإخوة، هو الأوسعُ نطاقًا عند إخوتنا المُفارقين، وينمو يومًا بعد يوم، بُغيةَ استعادةِ الوحدة بين جميع المسيحيّين.

وهذا الحَراكُ نحو الوحدَة، الّذي يُسمَّى «الحركة المسكونيّة»، يشتركُ فيه جميعُ الّذين يَدعُون باسم اللهِ المُثلَّثِ الأقانيم، ويعترفون بيسوع ربًّا ومُخلّصًا، لا بصفَتِهم الشّخصيّة الفرديّةِ فقط، بل بصفةِ كونِهم أيضًا أعضاءً مُنضَوين إلى جماعةٍ، تَلقّوا فيها الإنجيل، وسمّوها، كلٌّ من جهتِهِ، كنيستَهم الخاصّة وكنيسةَ الله. هؤلاء، بمعظمهم، يَحنّون إلى كنيسة الله الواحدة المنظورة، الحقيقِ بها أن تكون جامعةً مُرسلةً إلى العالم كلِّه، لكي يهتدي إلى الإنجيل ويحصُلَ على الخلاص ويتمجَّد اللهُ بذلك»[٦].

---

[٥] أُنْظُرْ: **المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني**، «الحركة المسكونيّة»، رقم ١.

[٦] المرجع نفسه.

٨– ينبغي لإعلان قرار «**الحركة المسكونيّة**» أن يُقرأ في إطار التّعليم المَجمعيّ بأكمله. فقد أعرب المَجمع الفاتيكانيّ الثّانيّ عن قرار الكنيسة التزام الجُهد المسكونيّ لوحدة المسيحيّين وعَرَضَه باقتناع وحَزْم: «إنّ المَجمع يَحثُّ جميعَ المؤمنين الكاثوليك على أن يتبيَّنُوا علاماتِ الأزمنة ويُسهموا إسهامًا حكيمًا في الجُهدِ المسكونيّ العامّ»[٧].

بإعلانه المبادئ الكاثوليكيّة للعمل المسكونيّ، يستند قرار «**الحركة المسكونيّة**»، قبل كلّ شيء، إلى تعليم الدّستور العقائديّ، «**نور الأمم**» عن الكنيسة، في الفصل الّذي يتحدّث عن شعب الله[٨]. فهو يأخذ بعين الاعتبار في الوقت عينه ما يؤكّده المَجمع في إعلان **كرامة الإنسان** عن «**الحرِّيَّة الدّينيّة**»[٩].

تعتبر الكنيسة الكاثوليكيّة في الرّجاء الالتزامَ المسكونيّ كمبدأ يُلزِم الضّمير المسيحيّ، وقد أناره الإيمان وقادته المحبّة. يُمكن هنا أيضًا أن نُطبّقَ كلمة القدّيس بولس إلى المسيحيّين الأوّلين في روما: «لأنّ محبّة الله أُفيضت في قلوبنا بالرّوح القدس»، ذلك أنّ «الرّجاء لا يُخيّبُ صاحبه» (رو ٥، ٥). إنّه الرّجاء في وحدة المسيحيّين الّذي يجد منبعه الإلهيّ في وحدة الآب والابن والرّوح القدس الثّالوثيّة.

٩– في ساعة آلامه، صلّى يسوع «ليكونوا واحدًا» (يو ١٧، ٢١). إنّ الوحدة الّتي منحها يسوع لكنيسته والّتي يُريدُ أن تشمل الجميع، ليست مسألة ثانويّة، إنّها في صُلب عمله بالذّات. وهي لا تُمثّل صفةً ثانويَّةً لجماعة تلاميذه، بل على العكس

---

[٧] المرجع نفسه، رقم ٤.

[٨] راجِعْ: «الكنيسة»، رقم ١٤.

[٩] أُنْظُرْ: الحرِّيَّة الدّينيّة، رقم ١ و٢.

من ذلك، إذ تخُصّ كيان هذه الجماعة. يُريدُ الله الكنيسة لأنّه يُريدُ الوحدة، ولأنّ في الوحدة يتجلّى كلّ عُمقِ محبّته.

في الواقع، لا تقوم هذه الوحدة الّتي يمنحها الرّوح القدس على تجمُّع أشخاص يلتفّون بعضهم حول بعض فحسب. إنّها وحدة مُكوَّنة من روابط الاعتراف بالإيمان والأسرار والشّركة مع السُّلطة الكنسيّة[١٠]. المؤمنون هم واحد، لأنّهم، في الرّوح، هم في شركة الابن، وبه في شركته مع الآب: «مُشاركتنا هي مُشاركة للآب ولابنه يسوع المسيح» (١ يو ١، ٣). في عُرْف الكنيسة الكاثوليكيّة، ليست الشّركة المسيحيّة سوى تجلّي النّعمة فيهم، الّتي بها يشتركون في شركته الّتي هي حياته الأزليّة. إنّ كلمات المسيح «ليكونوا واحدًا» هي الصّلاة الّتي وجّهها إلى الآب كي يُكمّل تدبيره كاملًا، كي «يتحقّق ذلك السّرّ الّذي ظلّ مكتومًا طَوال الدّهور في الله خالِقِ جميع الأشياء» (أف ٣، ٩). الإيمان بالمسيح يعنى أن نُريد الوحدة، وأن نُريد الوحدة يعني أن نُريد الكنيسة، وأن نُريد الكنيسة يعني أن نُريد شركة النّعمة الّتي تتّفِق مع تدبير الآب منذ الأزل. ذلكم هو معنى صلاة المسيح: «ليكونوا واحدًا».

١٠– في واقع الانقسام الحاليّ بين المسيحيّين والسّعي الواثِق إلى الشّركة الكاملة، يشعر المؤمنون الكاثوليك أنّ سيّدَ الكنيسة يُناديهم بإلحاح. فقد أكّدَ المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني التزامهم بفضل تعليم كنسيّ واضح ومُنفتِح على كلّ القيم الكنسيّة الموجودة عند المسيحيّين الآخرين. يَتطرّق المؤمنون الكاثوليك إلى المسألة المسكونيّة بروح إيمان.

[١٠] راجِعْ: «الكنيسة»، رقم ١٤.

يُعلّم المَجمع أنّ «الكنيسة الّتي أُنشِئَت ونُظّمَت كمُجتمعٍ في هذا العالم، إنّما لَبِثَتْ قائمةً في الكنيسة الكاثوليكيّة، الّتي يَسوسُها خليفةُ بطرس والأساقفةُ الّذين هم على الشّركة معه» ويُقرّ المَجمع في الوقت عينه أنّ هناك «عناصِر عديدة للتَّقديس وإعلانِ الحقيقة لا تَزالُ قائمةً خارجَ بنْيَتِها المنظورة، إلّا أنّها عناصِرُ خاصّةٌ بكنيسةِ المسيح، أُعطيَتْ لها مجّانًا، ولذلك، هي تُنبّه باستمرار وتحُثُّ على تحقيق الوحدةِ الجامعة»[١١]. «ومن ثَمَّ فإنَّ هذه الكنائس والطّوائف الكنسيّة لا تَخلو البتّة، على كونِنا نعتقدُ أنّها مشوبةٌ بالنّقص، من المعنى والقيمةِ في سِرِّ الخلاص. ذلك أنّ روحَ المسيح لا يَستَنكفُ من استخدامِها وسائلَ خلاصٍ تنبع قوَّتُها من ملء النّعمةِ والحقيقةِ الّذي اؤتُمِنَت عليه الكنيسةُ الكاثوليكيّة»[١٢].

١١– تُؤكّد الكنيسة الكاثوليكيّة من خلال ذلك كلّه، أنّها على مدى الألفَي سنة من تاريخها، قد حُفظَت في الوحدة مصحوبة بكلّ المواهب الّتي أرادَ الله أن يَخُصَّ بها كنيسته، على الرّغم من الأزمات الخطرة الّتي عصفت بها في أغلب الأحيان، وعدم أمانة بعضٍ من خُدّامها والأخطاء الّتي يتعرّض لها أعضاؤها كلّ يوم. تعرف الكنيسة الكاثوليكيّة أنّه، بمُقتضى الدّعم الّذي يأتيها من الرّوح القدس، لا تستطيع الأوهان والصّغائر والأخطاء وأحيانًا الخيانات الصّادرة عن بعض أبنائها أن تُدمّر ما وضَعَه الله فيها وفْقًا لتدبير نعمته. ذلك أنّه «لن يقوى عليها سُلطان الموت» (متّى ١٦، ١٨).

---

[١١] المرجع نفسه، رقم ٨.

[١٢] أُنْظُرْ: «الحركة المسكونيّة»، رقم ٣.

ومع ذلك، لا تغفل الكنيسة الكاثوليكيّة أنّ في حضنها من يُشوّش تدبير الله. وحينما يأتي القرار المَجمعيّ عن الحركة المسكونيّة على ذِكْرِ انقسام المسيحيّين لا يتجاهل «ذَنْبَ أفرادٍ أحيانًا من هذا الفريق أو ذاك»[١٣]، ويُقرّ بأنّ المسؤوليّة لا يُمكن أن تُلقى على عاتق «الآخرين» وحدهم. وبنعمةِ الله، لم يُهدَم ما يعود إلى بنية كنيسة المسيح، ولا الشّركة الّتي تبقى راسخة مع الكنائس والجماعات الكنسيّة الأخرى.

في الواقع، تُشكّل عناصر التّقديس والحقيقة المتوافرة في الجماعات المسيحيّة الأخرى، على مستويات مختلفة في كلّ منها، أساسًا موضوعيًّا للشّركة القائمة، ولو أنّها ناقصة، بينها وبين الكنيسة الكاثوليكيّة.

وبقدر ما تتوافر هذه العناصر في الجماعات المسيحيّة الأخرى، يتأمّن فيها الحضور الفاعِل لكنيسة المسيح الواحدة. لذلك يتحدّث المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني عن شركة حقيقيّة، وإن كانت ناقصة. كما يُشير الدّستور العقائديّ «الكنيسة» (نور العالم) إلى أنّ الكنيسة الكاثوليكيّة «تعلمُ أنّها متّحدةٌ بأسبابٍ عديدةٍ»[١٤] بتلك الجماعات، بشركة أكيدة وحقّة، في الرّوح القدس.

١٢– استفاضَ الدّستور العقائديّ نفسه مطوّلًا في عناصر التّقديس والحقيقة الّتي تتوافر وتعمل، بطُرُق مختلفة، وتخطّى الحدود المرئيّة للكنيسة الكاثوليكيّة: «فمنهم كثيرون يتّخذون الكتاب المقدّس قاعدةً لإيمانِهم وسيرتِهم، ويُظهرون غيرةً دينيّة صادقةً، ويؤمنون إيمانًا مفعمًا بالحبّ، حُبِّ الله الآبِ القدير، وحبِّ المسيحِ ابن الله

---

[١٣] المرجع نفسه.

[١٤] أُنْظُرْ: «الكنيسة»، رقم ١٥.

المخلّص: ويتَّسِمون بسمةِ المعموديّة الّتي بها يتّحِدون بالمسيح؛ ويعترفون أيضًا بأسرارٍ أخرى، ويقبلونَها في كنائسهم الخاصّة أو جماعاتِهم الكنائسيّة. وبعضُهم يَنعمون بالأُسقفيّة، ويُقيمون الإفخارستيّا المقدّسة، ويضطَرمون بالتّقوى تجاهَ العذراء والدةِ الله. زدْ على ذلك الشّركةَ في الصّلاة والخيرات الرّوحيّة الأخرى، علاوةً على نوعٍ من الاتّحاد الحقيقيّ في الرّوح القدس الّذي يفعلُ فيهم، بمواهبِه ونِعَمه، فعلَه المقدَّس، وقد شدَّد عزائمَ بعضِهم حتّى بلغَ بهم الاستشهاد. وهكذا، فإنّ الرّوحَ القدس يحرّكُ، في جميع تلاميذ المسيح، الرّغبة والعملَ في سبيل اتّحاد الجميع، اتّحادًا سلاميًّا، على الوجه الّذي أراده المسيح: أي أن يكونوا رعيّةً واحدةً لراعٍ واحد»[١٥].

بالنّسبة إلى الكنائس الأرثوذكسيّة، استطاع القرار المَجمعيّ عن الحركة المسكونيّة أن يُعلن على الأخصّ أنّه «بإقامة إفخارستيّا الرّبِّ في كلِّ كنيسةٍ خاصّةٍ تُبنى كنيسةُ الله وتنمو»[١٦]. إنّ الاعتراف بهذا كلّه يتجاوب ومقتضى الحقيقة.

١٣– يُبرزُ القرار المَجمعيّ عينه ببساطةٍ النّتائج العقائديّة لهذه الحالة. فبالنّسبة إلى أعضاء هذه الجماعات، يُعلن: «لمّا كانوا قد بُرِّروا بالإيمان الّذي نَالوهُ في المعموديّة، وصارُوا به أعضاءً لجسدِ المسيح، فإنّهم بحقٍّ يحملون الاسم المسيحيّ، وبحقٍّ يَرى فيهم أبناءُ الكنيسة الكاثوليكيّة إخوةً في الرَّبّ»[١٧].

---

[١٥] المرجع نفسه، رقم ١٥.

[١٦] أُنْظُرْ: «الحركة المسكونيّة»، رقم ١٥.

[١٧] المرجع نفسه، رقم ٣.

ويُضيف القرار، مستحضرًا الخيور العديدة المتوافرة في الكنائس الأخرى والجماعات الكنسيّة: «وهذا كُلُّه الّذي يَنبعُ من المسيح ويقودُ إليه، هو بقوّةِ الحقِّ ملكُ كنيسةِ المسيح الواحدة. وكذلك أيضًا، فإنّ كثيرًا من شَعائر الدّين المسيحيّ المقدّسةِ يُمارَسُ عند إخوتنا المفارقين، ومن شأنِه يقينًا أن يؤتيَ، بوجوهٍ مختلفةٍ باختلافِ وَضعِ كُلِّ كنيسةٍ أو طائفةٍ كنسيّة، وبصورةٍ فعّالةٍ، حياةَ النّعمةِ؛ ولا بدَّ من الإقرار بأنَّه يُولجُ في شركة الخلاص» [١٨].

يتعلّق الأمر هنا بنصوص مسكونيّة فائقة الأهمِيَّة. إنّا لا نجِدُ خارج حدود الجماعة الكاثوليكيّة أيّ فراغ كنسيّ. فهناك عناصر عديدة مهمّة للغاية في الكنيسة الكاثوليكيّة، اندمجت في ملء وسائل الخلاص ومواهب النّعمة الّتي تُولِّف الكنيسة، وهي متوافرة أيضًا في الجماعات المسيحيّة الأخرى.

١٤– تُشكّل هذه العناصر كلّها، بحدّ ذاتها، نداءً إلى الوحدة لكي تَجِدَ فيها ملئَها. هذا لا يعني أنّنا نعمل على جَمْعِ كلّ الثّروات المنتشرة في الجماعات المسيحيّة كي نبلغ إلى كنيسة يريدها الله في المستقبل. فوفقًا للتّقليد العظيم الّذي يُثبّتُه آباء الكنيسة في الشّرق والغرب، تؤمن الكنيسة الكاثوليكيّة، أنّه في حَدَثِ العنصرة، أظهر الله منذ ذلك الحين الكنيسة في واقعها الأخيريّ، الّذي كان يُهيّئه «منذ عهد هابيل البارّ»[١٩]. لقد أُعلِنَت الكنيسة. لذلك أصبحنا نحن في الأزمنة الأخيرة. وتتوافر عناصر تلك الكنيسة المعلنة موحّدة في كمالها، في الكنيسة الكاثوليكيّة، ومن دون

---

[١٨] المرجع نفسه.

[١٩] القدّيس غريغوريوس الكبير، **مواعظ في الإنجيل** ١٩، رقم ١: وردت في «الكنيسة»، رقم ٢.

هذا الكمال في الجماعات الأخرى[٢٠]، حيث بَرَزَت وُجوه بعض السِّرّ المسيحيّ أحيانًا أكثر إلى النّور. تهدف الحركة المسكونيّة إلى تقدُّمِ الشّركة الجزئيّة الموجودة بين المسيحيّين، كي تبلغ ملء الشّركة في الحقّ والمحبّة.

(تجدُّد وتوبة)

١٥– انطلاقًا من المبادئ والواجب المُلِحّ على الضّمير المسيحيّ بأن يُحرّك المسيرة المسكونيّة نحو الوحدة، يُشدّد المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني قبل كلّ شيء على ضرورة توبة القلب. إنّ الإعلان المسيحانيّ بأن «حان الوقتُ واقترب ملكوت الله» والنّداء اللّاحق «توبوا وآمنوا بالبشارة» (مر ١، ١٥)، اللّذَيْن استهلّ بهما رسالته، يُحدّدان العنصر الجوهريّ الّذي يَجب أن يُميّزَ كلّ ابتداء جديد: واجب التّبشير الأساسيّ، على مدى مراحل سبيل الكنيسة الخلاصيّ. ويتعلّق الأمر بخاصّةٍ بالتّطوّر الّذي اعتمده المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني، إذ سَجَّلَ في إطار التّجديد واجب العمل المسكونيّ كي يَتّحد المسيحيّون المنقسمون. «وإنّه ما من سبيل إلى قيام **حركةٍ مسكونيّة حقيقيّة** من دون ما تَجَدُّدٍ في الباطن»[٢١].

يدعو المَجمع إلى التّوبة الفرديّة بقدر ما يدعو إلى التّوبة الجماعيّة. كما أنّ تَوْقَ كلّ جماعةٍ مسيحيّة إلى الوحدة يترافق وأمانتها للإنجيل. وعندما نَجِدُ أُناسًا يحيَون دعوتهم المسيحيّة، يتحدَّث المَجمع عن توبة داخليّة وعن تجدُّدِ الرّوح[٢٢].

---

[٢٠] راجِعْ: «الحركة المسكونيّة»، رقم ٤.

[٢١] المرجع نفسه، رقم ٧.

[٢٢] راجِعْ: المرجع نفسه.

ينبغي لكلّ إنسان أن يتوب بجذريّة تامّة إلى الإنجيل، وعليه أن يُبدّل نظرته إلى الأمور من دون أن يغيب عن بصره تدبير الله. استنادًا إلى العمل المسكونيّ، ينتقل التّأمُّل في عجائب الله (*mirabilia Dei*) إلى ميادين جديدة، حيث يُثير الثّالوث الأقدس فِعْلَ الشّكر، فنُدرك أنّ الرّوح يعمل في الجماعات المسيحيّة الأخرى، ونكتشف مُثُلَ القداسة، ونختبر غنى شركة القدّيسين الّتي لا حدّ لها، ونعمل على تواصل مظاهر الالتزام المسيحيّ غير المتوقّعة. وبالتّزامن مع ذلك، بَدَتْ ضرورة التّوبة أشدّ تأثيرًا: فقد تنبّهنا لبعض الإقصاءات الّتي تُسيء إلى المحبّة الأخويّة، ولبعض رَفْضِ الغفران، ولبعض الكبرياء، وللانغلاق على الذّات بالحُكم على «الآخرين» بطريقة تُناقض الإنجيل، وللاحتقار النّاجم عن عُجْب مُفسِد. بهذا تتّسِمُ حياة المسيحيّين بالاهتمام المسكونيّ، فيما هم مدعوّون إلى أن ينقادوا لها فَتَعمل على تكوينهم.

١٦– في تعليم المَجمع، هناك ارتباطٌ واضحٌ بين التّجدُّد والتّوبة والإصلاح. فهو يؤكّد: «أنّ الكنيسة، طالما هي في مسيرة حجٍّ إلى الله، يدعوها المسيح إلى هذا الإصلاح المستديم لأنّها على الدّوامِ بحاجةٍ إليه من حيثُ هي مُؤسّسةٌ بشريّةٌ وأرضيّةٌ. فَلئن حدثَ إذًا أنَّ الأحوالَ قد حالت أحيانًا دونَ القيامِ بمثلِ هذه الإصلاحاتِ [...] فتجبُ العودةُ إليها في الوقتِ المناسبِ بما يَلزمُ من الجِدّ والاستقامة»[٢٣]. ما من جماعة مسيحيّة يُمكنها أن تتهرَّب من هذا النّداء.

وفي حوار صريح، تتعاونُ الجماعات على احترام بعضها بعضًا، في ضوء التّقليد الرّسوليّ. هذا ما يقودها إلى التّساؤل عمّا إذا كانت تُعبّر حقًّا بأمانة عن كلّ ما

[٢٣] المرجع نفسه، رقم ٦.

أبْلَغَنا إيّاه الرّوح بواسطة الرّسل[٢٤]. وفيما يخصّ الكنيسة الكاثوليكيّة، فقد ذكَّرتُ مرارًا بتلك المتطلّبات والتّطلّعات، بمناسبة ذكرى «**معموديّة الرّوس**»[٢٥]، مثلًا، أو في الذّكرى المئويّة الحادية عشرة لتبشير القدّيسَيْن كيرلّس وميتوديوس[٢٦]. ومنذ عهد قريب، طَبّقَها على الصّعيد الرّاعوي[٢٧] **الدّليل لتطبيق مبادئ الحركة المسكونيّة وقواعدها**، الّذي نَشَرَه بعد موافقتي «المجلس الحبريّ لتعزيز الوحدة بين المسيحيّين».

١٧– وفيما يخصّ المسيحيّين الآخرين، اقترحت الوثائق الرّئيسيّة الصّادرة عن لجنة «إيمان ونظام»[٢٨]، والتّصريحات الّتي عقبت الحوارات الثّنائيّة الأطراف، وسائل مفيدة لتمييز ما هو ضروريّ للحركة المسكونيّة وللتّوبة الّتي يجب أن يُثيرها. هذه الدّراسات مهمّة على صعيدَيْن: إنّها تُظهر من جهة التّقدُّم المرموق الّذي تحقّقَ حتّى الآن، ومن جهة أخرى تبعث على الرّجاء، لأنّها تُشكّل أساسًا ثابتًا للبحث الواجب متابعتُه وتعميقُه.

---

[٢٤] راجِعْ: **المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني**، الدّستور العقائديّ «الوحي الإلهيّ»، رقم ٧.

[٢٥] أُنْظُرْ:

Apostolic Letter Euntes in Mundum (25 January 1988).

أُنْظُرْ أيضًا: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٨٠، ١٩٨٨، ص ٩٣٥–٩٥٦.

[٢٦] أُنْظُرْ: الرّسالة البابويّة «رسولا الصّقالبة»، أُنْظُرْ أيضًا: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٧٧، ١٩٨٥، ص ٧٧٩–٨١٣.

Slavorum apostoli,

مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٧٧، ١٩٨٥، ص ٧٧٩–٨١٣.

[٢٧] أُنْظُرْ: **دليل لتطبيق مبادئ الحركة المسكونيّة** (٢٥ آذار ١٩٩٣)، تعريب المتروبوليت حبيب باشا، نشر اللّجنة الأسقفيّة للعلاقات المسكونيّة (لبنان)، ١٩٩٤، ص ١٧٦.

[٢٨] أُنْظُرْ: «وثيقة ليما المعموديّة والإفخارستيّا والخدمة»، كانون الثّاني ١٩٨٢؛ لجنة «إيمان ونظام: الاعتراف بإيمان واحد»، الوثيقة رقم ١٥٣، جنيف، ١٩٩١.

في الواقع الحاليّ للشّعب المسيحيّ، يَتّضح لنا أنّ تعميق الشّركة في إصلاح دائم يَتحقّقُ في ضوء التّقليد الرّسوليّ، هو، من دون شكّ، أحد أهمّ العلامات المميّزة للعمل المسكونيّ. وهو، من ثمّ، ضمانة أساسيّة لمستقبله. لا يُمكن أن يخفى على مؤمني الكنيسة الكاثوليكيّة أنّ الاندفاع المسكونيّ للمَجمع الفاتيكانيّ الثّاني كان نتيجة ما قامت به الكنيسة من فحصٍ ضميرٍ في ضوء الإنجيل والتّقليد العظيم. لقد فَقِه ذلك سلفي البابا يوحنّا الثّالث والعشرون الّذي رفض، عندما دعا إلى عَقْدِ المَجمع، أن يفصل بين التّجديد (*aggiornamento*) والانفتاح المسكونيّ[٢٩]. وفي ختام الدّورات المَجمعيّة كَرَّسَ البابا بولس السّادس دعوة المَجمع المسكونيّة، مُجدِّدًا حوار المحبّة مع الكنائس الّتي لها شركة مع بطريرك القسطنطينيّة، وأتمّ معه الفعلَ الحسّيّ والبالغ المعنى الّذي «رُمِي في النّسيان» — وأزال من ذاكرة الكنيسة وحضنها — حُرُمات الماضي. ويجدر بنا أن نُذكِّر بأنّ إنشاء جهاز خاصّ بالحركة المسكونيّة تَرافق والتّحضير للمَجمع الفاتيكانيّ الثّاني[٣٠]. وبواسطة هذا الجهاز وَجدَت آراءُ

---

[٢٩] أُنْظُرْ: خطاب افتتاح المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني (١١ تشرين الأوّل ١٩٦٢)؛ أُنْظُرْ أيضًا: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسولي»، ٥٤، ١٩٦٢، ص ٧٩٣.

[٣٠] يُراد به «أمانة السّرّ لتعزيز وحدة المسيحيّين»، الّتي أنشأها البابا يوحنّا الثّالث والعشرون بالأمر التّلقائيّ (*Superno Dei nutu*)، ٥ حزيران ١٩٦٠، رقم ٩؛ أُنْظُرْ أيضًا: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٥٢، ١٩٦٠، ص ٤٣٦. وتُثبّتها الوثائق اللّاحقة: *Appropinquante Concilio*, 6/8/1962؛ أُنْظُرْ أيضًا: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٥٤، ١٩٦٢، ص ٦١٤؛ أُنْظُرْ أيضًا: بولس السّادس، البراءة الرّسوليّة *Regimini Ecclesiae universe*, 15 August 1967, n. 92-94.

أُنْظُرْ أيضًا: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٥٩، ١٩٦٧، ص ٩١٨-٩١٩. وهذه الدّائرة تُدعى اليوم: المجلس الحبريّ لتعزيز وحدة المسيحيّين. أُنْظُرْ في ذلك البابا يوحنّا بولس الثّاني، البراءة الرّسوليّة **الرّاعي الصّالح** (*Pastor bonus*)، ٢٨ حزيران ١٩٨٨، الفصل الخامس، البند ١٣٥-١٣٨؛ أُنْظُرْ أيضًا: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٨٠، ١٩٨٨، ص ٨٩٥-٨٩٦.

الجماعات المسيحيّة الأخرى وملاحظاتُها مكانها في المناقشات الكبرى عن الوحي والكنيسة وطبيعة الحركة المسكونيّة والحرّيَّة الدّينيّة.

(أهمِّيَّة العقيدة الأساسيّة)

١٨– بالعودة إلى فكرةٍ عبَّرَ عنها البابا يوحنّا الثّالث والعشرون عند افتتاح المَجمع[٣١]، وَضَعَ القرار عن الحركة المسكونيّة طريقة صياغة العقيدة فيما بين الإصلاح الدّائم[٣٢]. في هذا الإطار إذًا، ليس المقصود أن نُبدّل وديعة الإيمان، ونُغيّر معنى العقائد، ونحذفَ منها كلمات جوهريّة، ونُوافِق الحقيقة وأذواق عصرٍ ما أو نُلغيَ بعض فقراتٍ من قانون الإيمان لحُجّة واهية أنّها لم تَعُد تُفهَمُ اليوم. إنّ الوحدة الّتي يُريدُها الله لا يُمكن أن تتحقّقَ إلّا بالانضمام الشّامل إلى كامل مُحتوى الإيمان المُوحى. ففي مسائل الإيمان، تتناقض التّسوية مع الله الّذي هو الحقيقة. في جسد المسيح الّذي هو «الطّريق والحقّ والحياة» (يو ١٤، ٦)، من يستطيع أن يعتبرها شرعيّةً مُصالحةٌ نَمَتْ على حِساب الحقيقة؟ يُقرّ الإعلان المَجمعيّ عن الحرّيَّة الدّينيّة بأنّ البحث عن الحقيقة هو من خصائص الكرامة الإنسانيّة، «فيما يتعلّق بالله وكنيسته»[٣٣] والانضمام إلى متطلّباته. إنّ مبدأ «نكون معًا» مُشوّهًا الحقيقة لَيُناقض إذًا طبيعة الله الّذي يمنح الشّركة معه، ويُناقض أيضًا تطلّب الحقيقة السّاكنة في عُمق كلّ قلب بشريّ.

---

[٣١] أُنْظُرْ: خطاب افتتاح المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني (١١ تشرين الأوّل ١٩٦٢)؛ أُنْظُرْ أيضًا: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٥٤، ١٩٦٢، ص ٧٩٢.

[٣٢] راجِعْ: «الحركة المسكونيّة»، رقم ٦.

[٣٣] أُنْظُرْ: «الحرّيَّة الدّينيّة»، رقم ١.

١٩– ومع ذلك، يجب أن تُعرض العقيدة بطريقة يَسهُل فهمها من قبل الّذين تُوجَّه إليهم. في رسالة «رسولا الصّقالبة»، ذكَّرتُ أنّ كيرلُّس وميتوديوس، لهذا السّبب بالذّات، جهدا في ترجمة مبادئ الكتاب المقدّس ومفاهيم اللّاهوت اليونانيّ في إطار فكرٍ واختبارات تاريخيّة مختلفة كلِّيًا. لقد أرادا أن يُصبح كلام الله الواحد «سَهْلَ المنال، طبقًا لأساليب التّعبير الخاصّة بكلّ حضارة»[٣٤]. كما أدركا إذًا أنّهما لا يستطيعان «أن يفرضا على الشّعوب الّتي يُبشّرانها لا تفوّق اللّغة اليونانيّة والثّقافة البيزنطيّة الّذي لا جدال فيه، ولا عادات وتصرّفات مجتمع أكثر تقدُّمًا تثقّفا فيه»[٣٥]. فقد وضعا مَوضِع التّنفيذ «الشّركة التّامّة في المحبّة الّتي تَصونُ الكنيسة من أيّ نوعٍ من التّفرُّد أو الإقصاء العرقيّ أو التّحيُّز العنصريّ، وكذلك من كلّ غطرسة قوميّة»[٣٦]. وفي السّياق عينه، لم أتردّد في القول لسكّان أستراليا الأصليّين: «يجب ألّا تكونوا شعبًا منقسمًا إلى فئتَين [...]. يدعوكم يسوع إلى تقبُّل أقواله وقيَمه داخل ثقافتكم الخاصّة»[٣٧]. ذلك لأنّ مبادئ الإيمان، في طبيعتها، تتوجَّه إلى البشريّة جمعاء، ويجب أن يُعبَّر عنها في جميع الثّقافات. وفي الواقع، إنّ العنصر الّذي يُحدّد الشّركة في الحقيقة هو معنى الحقيقة. أمّا التّعبير عنها فيُمكن أن يأخذ أشكالًا متعدّدة. والتّجدّد في

---

[٣٤] الرّسالة البابويّة، «رسولا الصّقالبة» (*Slavorum Apostoli*)، رقم ٩١؛ أُنْظُرْ أيضًا: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٧٧، ١٩٨٥، ص ٧٩٢.

[٣٥] المرجع نفسه، رقم ١٣، ص ٨٩٤.

[٣٦] المرجع نفسه، رقم ١١، ص ٧٩٢.

[٣٧] أُنْظُرْ:

Address to the Aboriginal Peoples (29 November 1986), 12: *AAS* 79 (1987), 977.

أشكال التّعبير يُصبح ضروريًّا لكي تُنقلَ إلى إنسان اليوم بُشرى الإنجيل في معناه الّذي لا يَتبدَّل[٣٨].

«فلهذا التّجدّد إذًا قيمة مسكونيّة بالغةُ الشّأن»[٣٩]. فالمقصود ليس أن نُجدّد أسلوب التّعبير عن الإيمان فحسب، بل أيضًا أسلوب عَيْش هذا الإيمان. ويُمكننا هنا أن نتساءل عمّن يجب أن يقوم بذلك. يُجيب المَجمع بوضوح عن هذا السّؤال: إنّه «فَرْضٌ على الكنيسة كلّها جمعاء، سواءٌ في ذلك المؤمنون والرّعاة [...]؛ ويُلزِمُ كلّ واحدٍ بحسب طاقاته، سواءٌ في الحياة اليوميّة أو في البحوثِ اللّاهوتيّة والتّاريخيّةِ»[٤٠].

٢٠– إنّ هذا كلّه فائقُ الأهمّيّة كما أنّ له بُعْدًا أساسيًّا في العمل المسكونيّ. فينجُم عن ذلك، من دون شكّ، أنّ الحركة المسكونيّة، تلك الحركة لاتّحاد المسيحيّين، ليست «مُلحَقًا» نكِرةً تُضاف إلى النّشاط التّقليديّ للكنيسة. بل على العكس من ذلك، إنّها جُزءٌ لا يتجزّأ من حياتها وعملها، فيجب، من ثمّ، أن تتغلغل في كامل المجموعة وتكون مثل ثمرةٍ لشجرةٍ سليمةٍ وخصيبة، تنمو حتّى تبلُغَ كامل تطوّرها.

هكذا كان البابا يوحنّا الثّالث والعشرون يؤمن بوحدة الكنيسة، وهكذا كان يسعى إلى اتّحاد جميع المسيحيّين. وفي حديثه عن المسيحيّين الآخرين، الأسرة المسيحيّة الكبرى، كان يُعاين أنّ «ما يجمعنا هو أعظم بكثير ممّا يُفرّقنا». ومن جهته، حرّض المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني قائلًا: «وَليذكُر المؤمنُون جميعًا أنّهم يُعزّزون اتّحادَ

---

[٣٨] راجِعْ:
SAINT VINCENT OF LERINS, *Commonitorium primum*, 23: PL 50, 667-668.

[٣٩] أُنْظُرْ: «الحركة المسكونيّة»، رقم ٦.

[٤٠] المرجع نفسه، رقم ٥.

المسيحيّين، بل يُحقّقونه، بمقدارِ ما يَجتهدون في أن يَحيوا بإخلاصٍ أوفر بحسبِ الإنجيل. ذلك أنّهم بمقدارِ ما تكونُ شركتُهم مع الآبِ والكلمةِ والرّوح القدس أوثق، يستطيعون أن يجعلوا الأخوّةَ المتبادلةَ أخلصَ»[٤١].

(أولويّة الصّلاة)

٢١– «وإنّ هذَيْن التّجدُّدَ في القلوب والقداسة في السّيرة، مُتّحدَيْن بالصّلواتِ الجمهوريّة والفَرديّة لأجل الوحدةِ بين المسيحيّين، يجبُ أن يُعَدّا بمثابةِ الرّوح للحركةِ المسكونيّة برمّتِها، وأنْ يُسَمَّيا بحقّ "روح الحركةِ المسكونيّة"»[٤٢].

يتمّ التّقدُّم في السّبيل الّذي يقود إلى توبة القلوب على قدر إيقاع المحبّة الّتي تتوجّه إلى الله، وفي الوقت نفسه، إلى الإخوة: إلى الإخوة أجمعين، وفي حدٍّ سواءٍ إلى أولئك الّذين ليسوا على ملء الشّركة معنا. تتولّد المحبّة من الرّغبة في الوحدة، حتّى عند أولئك الّذين تجاهلوا على الدّوام ضرورتها. إذا أحببنا بعضنا بعضًا سعينا إلى تعميق شركتنا، إلى إبلاغها نحو كمالها. يتوجّه الحبُّ إلى الله، ينبوع الشّركة الكامل – وحدة الآب والابن والرّوح القدس – حتّى نغرف من معينه القدرة على إحلال الشّركة بين الأشخاص والجماعات، أو إلى إعادة لُحمتها بين المسيحيّين الّذين ما زالوا منقسمين. الحبُّ هو التّيّار العميق جدًّا الّذي يُحيي ويُنشط المسيرة نحو الوحدة.

يجدُ هذا الحبُّ كمال تعبيره في الصّلاة المشتركة. عندما يجتمع الإخوةُ، الّذين ليسوا بعدُ في ملءِ الشّركة، للصّلاة، يُحدّد المَجمع الفاتيكانيُّ الثّاني صلاتهم وكأنّها روحُ كلِّ تحرُّكٍ مسكونيّ. «وإنّه لجائزٌ، بل هو أمرٌ مشتهًى، أن يجتمعَ الكاثوليك مع

---

[٤١] المرجع نفسه، رقم ٧.

[٤٢] المرجع نفسه، رقم ٨.

الإخوةِ المفارقين»[٤٣]. وحتّى عندما لا نُصلّي تحديدًا من أجل وحدة المسيحيّين، ولكن من أجل نيّات أخرى، كالسّلام مثلًا، تُصبح الصّلاة بحدّ ذاتها تعبيرًا عن الوحدة وتأكيدًا لها. صلاة المسيحيّين المشتركة تدعو المسيح نفسه إلى الحضور مع جماعة الّذين يضرعون إليه: «حيثُما اجتمع اثنان أو ثلاثةٌ باسمي، كنتُ هناك بينهم» (متّى ١٨، ٢٠).

٢٢– عندما نُصلّي معًا، بين مسيحيّين، يبدو هدف الوحدة أقرب منالًا. إنّ تاريخ المسيحيّين الطّويل الّذي اتّسم بتفتيتات عديدة يبدو وكأنّه يُعاد إعماره، ناشدًا ينبوع الوحدة الّذي هو يسوع المسيح. إنّه «هو هو أمس واليوم وللأبد» (عب ١٣، ٨)! المسيح حاضرٌ حقيقةً في شركة الصّلاة؛ يُصلّي «فينا» و «معنا» و «من أجلنا». إنّه هو الّذي يقود صلاتنا في الرّوح المعزّي الّذي وعد به وأرسله منذ عُلِّيَّة أورشليم، إلى كنيسته الّتي أسّسها في وحدتها الأصيلة.

وعلى الطّريق المسكونيّة للوحدة، تعود الأولويّة بلا ريب إلى الصّلاة المشتركة، إلى الوحدة المُصَلِّية المُتَمثّلة في أولئك الملتئمين حول يسوع نفسه. وإذا عرف المسيحيّون على الدّوام، بالرّغم من انقساماتهم، أن يتّحدوا أكثر في صلاة مشتركة حول المسيح، لَتطوَّر حينئذٍ وعيُهم لحدود ما يُفرّقهم بالنّسبة إلى ما يوحّدهم. وإذا تلاقوا دومًا أكثر وبتواترٍ أكبر أمام المسيح في الصّلاة، لَأمكنهم أن يُواجهوا بشجاعة كلّ واقع انقساماتهم الأليم والبشريّ، ولتلاقوا معًا في جماعة الكنيسة الّتي يُؤلّفها المسيح من دون انقطاع في الرّوح القدس، بالرّغم من كلّ الأوهان والحدود البشريّة.

---

[٤٣] المرجع نفسه

٢٣- أخيرًا، **تقود شركة الصّلاة إلى إلقاء نظرة جديدة إلى الكنيسة وإلى المسيحيّة.** يجب ألّا يغرب عن بالنا أنّ الرَّبّ سأل الآب وحدةَ تلاميذه، حتّى تؤدّي شهادةً لرسالته ويؤمن العالم أنّ الآب أرسله (راجِعْ: يو ١٧، ٢١). ويُمكن القول إنّ الحركة المسكونيّة انطلقت، نوعًا ما، ابتداء من الاختيار السّلبيّ الّذي عاشه أولئك المبشّرون بالإنجيل الواحد، والمنادون، في الوقت عينه، كلٌّ بكنيسته الخاصّة أو بجماعته الكنسيّة؛ إنّ مثل هذا التّناقض لم يكن ليخفى على السّامعين رسالةَ الخلاص والّذين كانوا يجدون في ذلك عائقًا لتقبّل بشرى الإنجيل. إنّ تلك الصّعوبة الخطِرة لم تُقهَر بعدُ، ويا للأسف! من المعلوم أنّا لم نبلغ ملء الشّركة؛ ومع ذلك، فبالرّغم من انقساماتنا، أخذنا في سلوك سبيل الوحدة التّامّة، الوحدة الّتي كانت تُميّز كنيسة الرّسل في أوائلها، والّتي ننشُدها بصدق: والشّاهد على ذلك صلاتنا المشتركة يقودها الإيمان في الصّلاة نتّحد باسم المسيح الواحد. إنّه وحدتنا.

إنّ الصّلاة المسكونيّة هي في خدمة الرّسالة المسيحيّة ومصداقيّتها. لذلك من الواجب أن تكون بالأخصّ حاضرة في حياة الكنيسة وفي كلّ النّشاطات الهادفة إلى تشجيع اتّحاد المسيحيّين. وكأنّه علينا، في ذلك، أن نعود على الدّوام إلى علِّيَّة الخميس العظيم كي نلتقي، مع أنّ حضورنا المشترك في هذا المكان يجب أن ينتظر بعدُ كمالَ تحقيقه، إلى الوقت الّذي فيه يلتئم جميعُ المسيحيّين في الاحتفال الواحد بالإفخارستيّا، بعدَ تغلُّبهم على الحواجز الّتي تعوق الشّركة الكنسيّة التّامّة[٤٤].

[٤٤] المرجع نفسه، رقم ٤.

٢٤– إنّه لمن دواعي الفرح أن نلاحظ أنّ اللّقاءات المسكونيّة العديدة تشمل على الدّوام تقريبًا الصّلاة، بل إنّها تُتوّجها.

أسبوع الصّلاة لأجل وحدة المسيحيّين الّذي يُحتَفل به في كانون الثّاني، أو في فترة العنصرة في بعض البلدان، بات تقليدًا شاملًا وثابتًا. ولكن، خارجًا عن هذا الأسبوع أيضًا، إنّها لَكثيرةٌ المناسبات في أثناء السّنة، الّتي يُؤتى فيها المسيحيّون أن يصلّوا معًا. وبهذه المناسبة، أَودّ أن أذكّر بالاختبار الخاصّ الّذي توفّره زيارة البابا إلى الكنائس، في كافّة القارّات ومختلف بلدان العالم المعاصر. لا شكّ في أنّ المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني، بحسب رأيي وتقديري، هو الّذي وجّه البابا نحو هذه الظّاهرة الخاصّة في ممارسة خدمته الرّسوليّة. وأبعد من ذلك، إنّ المَجمع جعل من زيارة البابا هذه واجبًا واضحَ المعالم ليقوم بدوره كأسقفٍ لروما، خادمٍ للشّركة[٤٥]. وغالبًا ما تضمّنت زياراتي لقاءً مسكونيًّا وصلاةً مشتركةً لإخوةٍ ينشُدون الوحدة في المسيح وفي كنيسته. وإنّي لأذكر بمزيد من التّأثّر الصّلاة المشتركة مع الرّئيس الأعلى للشّركة الأنكليكانيّة في كاتدرائيّة كانتُربري، في ٢٩ أيّار ١٩٨٢، عندما تحقّقتُ، في هذا الصّرح المهيب «من الشّهادة البليغة في آن معًا لسنوات تُراثنا المشترك المديدة والسّنوات التّاعسة لانقسامنا اللّاحق»[٤٦]؛ وإن أنسى لن أنسى أيضًا تلك الزّيارات الّتي تمّت في البلدان الإسكندیناقيّة والشّماليّة (من الأوّل إلى العاشر من حزيران

---

[٤٥] أُنْظُرْ رسالة الحبر الأعظم البابا يوحنّا بولس الثّاني الرّسوليّة، ١٠/١١/ ١٩٩٤، رقم ٢٤؛ أُنْظُرْ أيضًا: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٨٧، ١٩٩٥، ص ١٩–٢٠؛ منشورات اللّجنة الأسقفيّة لوسائل الإعلام، جلّ الدّيب (لبنان).

[٤٦] الخطاب في كاتدرائيّة كانتُربري (٢٩ أيّار ١٩٨٢)، رقم ٥؛ أُنْظُرْ: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٧٤، ١٩٨٢، ص ٩٢٢.

١٩٨٩)، وفي البلدان الأميريكيّة وفي أفريقيا، أو الصّلاة في مقرّ «مجلس الكنائس العالميّ» (١٢ حزيران ١٩٨٤)، تلك المنظّمة الّتي تهدف إلى دعوة الكنائس والجماعات الكنسيّة الأعضاء فيها، إلى السّعي نحو «هدف الوحدة الظّاهرة في إيمان واحد وشركة إفخارستيّة واحدة يُعبَّر عنها في ممارسة الطّقس والحياة المشتركة في المسيح»[٤٧]. وكيف يُمكنني أبدًا أن أنسى اشتراكي في اللّيترجيّا الإفخارستيّة في كنيسة القدّيس جاورجيوس في البطريركيّة المسكونيّة (٣٠ تشرين الثّاني ١٩٧٩)، والاحتفال في كاتدرائيّة القدّيس بطرس، في أثناء زيارة أخي الجليل البطريرك ديمتريوس الأوّل لروما (٦ كانون الأوّل ١٩٨٧)؟ بهذه المناسبة، وعند مذبح الشّهادة، تَلَوْنا علنًا معًا «قانون إيمان» نيقية–القسطنطينيّة، في نصّه اليونانيّ الأصيل. إنّ هذه العبارات القلائل لا يُمكنها أن تفي بوصف الخطوط الّتي ميّزَت كلًّا من لقاءات الصّلاة هذه. وبسببٍ من ظروفٍ ورثناها من الماضي وضغطت، بطرق متنوّعة، بثقلها على كلّ صلاة منها، تفرَّدَت تلك الصّلوات جميعها ببلاغة خاصّة وتغيير فريد؛ إنّها كلّها منقوشةٌ في ذاكرة الكنيسة الّتي يُوجّهها المعزّي نحو نُشدان وحدة جميع المؤمنين بالمسيح.

٢٥– لم يكتفِ البابا بأن يكون زائرًا فقط. فعلى مدى السّنوات تلك زارني بروما العديدُ من ممثّلي الكنائس والجماعات الكنسيّة الأخرى الأجلّاء، واستطعتُ أن أُصلّيَ معهم، علنًا أو على انفراد. لقد سبق وأشرت إلى حضور البطريرك المسكونيّ ديمتريوس الأوّل. أريد أن أُذكّر أيضًا بلقاء الصّلاة الّذي جمعني، في كاتدرائيّة القدّيس بطرس نفسها، ورؤساء الأساقفة اللّوثريّين، والرّؤساء الأعلين في السّويد وفنلندا

[٤٧] مجلس الكنائس العالميّ، الدّستور، الفصل ٣، ١، وردت في:
Euchiridion oecumenicum 1, 1292.

للاحتفال بصلاة الغروب، بمناسبة الذّكرى المئويّة السّادسة لإعلان قداسة القدّيسة بريجيتا (٥ تشرين الأوّل ١٩٩١). وما هذا إلّا مثالٌ، لأنّ وعي واجب الصّلاة من أجل الوحدة قد أصبح جزءًا لا يتجزّأ من حياة الكنيسة. وليس هناك من حَدَثٍ مهمّ ومُعبّر إلّا ويُغنيه الحضور المشترك وصلاةُ المسيحيّين. ولا يسعني تعدادُ كلّ اللّقاءات مع أنّ كلًّا منها يستحقّ الذّكر. في الحقيقة، لقد أمسك الرّبُّ بيدنا وقادنا. إنّ تلك اللّقاءات والصّلوات قد دَوّنَت صفحةً في «كتابنا عن الوحدة»، «كتابًا» علينا أن نتصفّحه على الدّوام ونُعيدَ قراءته كي نستخلص من طيّاته أسبابًا للإيحاء والرّجاء.

٢٦– إنّ الصّلاة، بل المشاركة في الصّلاة، تسمح لنا دومًا في اكتشاف الحقيقة الإنجيليّة الكامنة في هذه العبارة: «لأنّ لكم أبًا واحدًا» (متّى ٢٣، ٩)، ذاك الآب، أبّا، الّذي يضرع إليه المسيح نفسه، الابن الواحد في الجوهر معه. وأيضًا «لأنّ لَكُم معلِّمًا واحدًا، وأنتُم جميعًا إخوة» (متّى ٢٣، ٨). تكشف الصّلاة «المسكونيّة» النّقاب عن البُعد الأساسيّ للأخوّة في المسيح الّذي مات ليجمع أبناء الله المتفرّقين، حتّى إذا أصبحنا «أبناءً بالابن» (أف ١، ٥) نعكس بأجلى بيان حقيقة أبوّة الله الّتي لا يُسبَر غورُها، وفي الوقت عينه، حقيقة بشريّة كلّ واحدٍ والجميع.

إنّ الصّلاة «المسكونيّة»، صلاة الإخوة والأخوات تُعبّر عن هذا كلّه. ولأنّهم منقسمون، يتّحِدون في المسيح، برجاء أعظم، مؤتَمنين إيّاه على مستقبل وحدتهم وشركتهم. في هذا الصّدد، يُمكننا أن نورد مرّةً أخرى، بطريقة مؤاتية، تعليم المَجمع: «إنَّ الرّبَّ يسوع عندما طلبَ في صَلاتِه إلى الآب وقال: ''ليكونُوا بأجمعِهم واحدًا...

كما نحنُ واحد" (يو ١٧: ٢١-٢٢)، فتحَ آفاقًا تسمُو على العَقل البشريّ، وأشارَ إلى نوعٍ من الشّبَه يقومُ بين اتّحادِ الأقانيم الإلهيّة واتّحادِ أبناءِ الله في الحقِّ وفي المحبّة»[٤٨].

إنّ توبة القلب، الشّرط الأساسيّ لكلّ بحثٍ حقيقيّ عن الوحدة تنبع من الصّلاة الّتي تُرشدها نحو كمالها: «ذلك أنَّه من تجدُّد الرّوح، ونُكرانِ الذّات، وفَيضَانِ المحبّة الطّوعيّ، تنطلقُ الرّغبةُ في الوَحدةِ وتبلغُ غايتَها. لذلك يجبُ أن نَلتمِسَ من الرّوح القدس نعمةَ التّجرُّدِ الصّادقِ، ونعمةَ التّواضعِ والوَداعةِ في الخدمة، والسّخاءِ الأخويّ تُجاهَ الآخرين»[٤٩].

٢٧- ليست الصّلاة من أجل الوحدة مقصورة على من يعيشون في محيط حيثُ المسيحيّون منقسمون. ولا يُمكن أن نقصي، من الحوار الحميم والشّخصيّ الّذي يُجريه كلٌّ منّا مع الرَّبّ في الصّلاة، الاهتمام بالوحدة. بهذه الطّريقة فقط، تدخل الوحدة، في الواقع، كلّيًّا وحقيقة، في صُلب حياتنا والواجبات الموكَلة إلينا في الكنيسة.

ولتأكيد هذه الضّرورة، أردتُ أن أقدّم لمؤمني الكنيسة الكاثوليكيّة مثالًا يُحتذى به، في رأيي، هو الأخت التّراپيستيّة ماري-غبريال الوحدة، الّتي أعلنتُها طوباويّةً في الخامس والعشرين من كانون الثّاني ١٩٨٣[٥٠].

---

[٤٨] **اُنْظُرْ**: «الكنيسة في عالم اليوم»، رقم ٢٤.

[٤٩] اُنْظُرْ: «الحركة المسكونيّة»، رقم ٧.

[٥٠] ماري-غبريال ساغدَو وُلدَت في دورغالي (سردينيا) في ١٧ آذار ١٩١٤. في الحادية والعشرين من عمرها دخلت دير غروتّا فرّاتا للرّاهبات التّراپيست. وإذ اطّلعت، بفضل نشاط الأب بوب كوتوريه الرّسوليّ، على ضرورة الصّلاة والتّقادم الرّوحيّة من أجل اتّحاد المسيحيّين، قرّرت سنة ١٩٣٦، بمناسبة أسبوع الصّلاة من أجل

لمّا دُعيت الأخت ماري-غبريال إلى أن تعيش خارج العالم، كرّست حياتها للتأمّل والصّلاة المرَكّزين على الفصل ١٧ من إنجيل القدّيس يوحنّا، وقدّمت حياتها ذبيحةً من أجل اتّحاد المسيحيّين. هذا هو محورُ كلّ صلاة: أن نُقدّم الحياة كاملةً وبلا تَحفُّظ للآب، بالابن وفي الرّوح القدس. إنّ مثال الأخت ماري-غبريال يُرشدنا، إنّه يُعلّمنا أنّه لا توجد أوقاتٌ ولا مناسباتٌ ولا أمكنةٌ خاصّة للصّلاة من أجل الوحدة. إنّ صلاة المسيح إلى الآب هي مثالٌ لنا جميعًا، دومًا وفي كلّ مكان.

(الحوار المسكونيّ)

٢٨- إذا كانت الصّلاة «روح» التّجدُّد المسكونيّ والتّوق إلى الوحدة، فكُلّ ما يُحدّده المَجمع «حوارًا» يرتكز عليها ويأخذ منها سندًا. لا شكّ في أنّ هذا التّجديد يرتبط بالفكر الشّخصانيّ المعاصر. إنّه الاستعداد «للحوار» يتماشى وطبيعة الإنسان وكرامته. فمن الوجهة الفلسفيّة، يرتبط مثلُ هذا الموقف بالحقيقة المسيحيّة الّتي عبّر عنها المَجمع عن الإنسان: إنّه، في الواقع، «الخليقة الوحيدة الّتي أرادَها اللهُ لذاتِها على الأرض، لا يستطيعُ أن يجدَ ذاتَه تمامًا إلّا بتقديم نفسِه تقدمةً صادقةً خالصة»[٥١]. الحوار سبيلٌ لا مناصَ منه في المسيرة نحو كمال الإنسان بذاته، كمالُ الفرد وكلّ جماعة بشريّة. ومع أنّ مفهوم الحوار يظهر وكأنّه يُبرز في الطّليعة برهة التّعارف، فإنّ كلّ حوارٍ يتضمّن في ذاته بُعدًا شاملًا ووجوديًّا، فالكائن البشريّ بأكمله معنيٌّ به؛ والحوار بين الجماعات يُلزمُ بنوع خاصّ، في كلّ منها، صفتها الفرديّة.

الوحدة، أن تُقدّم حياتها ضحيّةً لهذه الغاية. وبعد مرضٍ عُضال تُوفّيت الأخت ماري-غبريال في ٢٣ نيسان ١٩٣٩.

[٥١] أُنْظُرْ: «الكنيسة في عالم اليوم»، رقم ٢٣.

إنّ هذه الحقيقة الحواريّة الّتي عبّر عنها بجلاء البابا بولس السّادس في رسالته البابويّة **كنيسته**[٥٢] (*Ecclesiam suam*) أُدرجت أيضًا في تعليم المَجمع وممارساته المسكونيّة. فلا يقتصر الحوار على تبادل الآراء بل إنّه، نوعًا ما، على الدّوام، «تبادُل مواهب»[٥٣].

٢٩– ولهذا السّبب، يُبرز القرار المَجمعيّ «أوّلًا السّعي إلى إزالة الأقوال والأحكام والأعمالِ الّتي لا تَنطَبقُ، بالحقيقةِ والإنصاف، على وَاقعِ الإخوة المفارقين، وتُسهم في جعلِ العلاقاتِ معهم أصعبَ وأعسر»[٥٤]. تتطرّق هذه الوثيقة إلى القضيّة من وجهة نظر الكنيسة الكاثوليكيّة وتُقدّم المعايير الواجب تطبيقها بالنّسبة إلى المسيحيّين الآخرين. وفي هذا كلّه، تُفرَض المبادلة. والتّمسُّك بهذه المعايير واجبٌ على كلا الطّرفين اللّذَيْن يرغبان في الحوار، وهو شرطٌ أوّل لمباشرته. وعلينا أن نتجاوز موقف العداء والنّزاع إلى اعتراف الطّرفَيْن كلَيْهما والواحد بالآخر كشريكَيْن. وعندما يبدأ الحوار، **على كلّ من الطّرفَيْن أن يفترض وجودَ إرادةٍ للمصالحة عند الطّرف الآخر**، إرادة وحدة في الحقيقة. ولبلوغ ذلك يجب أن تضمحلّ جميعُ مظاهر العداء المتبادل. بهذه الطّريقة فقط يساعدُ الحوارُ في التّغلُّب على الانقسام وفي التّقرُّب من الوحدة.

٣٠– ويُمكننا التّأكيد، في صلاة شُكرٍ حارّة إلى روح الحقّ، أنّ المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني كان زمنًا مباركًا، اجتمعت فيه الشّروط الأساسيّة لمشاركة الكنيسة

---

[٥٢] أُنْظُرْ: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٥٦، ١٩٦٤، ص ٦٠٩–٦٥٩.

[٥٣] أُنْظُرْ: «الكنيسة»، رقم ١٣.

[٥٤] أُنْظُرْ: «الحركة المسكونيّة»، رقم ٤.

الكاثوليكيّة في الحوار المسكونيّ. وعلاوة على ذلك، إنّ حضور العديد من مراقبي الكنائس والجماعات الكنسيّة الأخرى، والتزامهم البليغ بالحَدَث المَجمعيّ، واللّقاءات المتواترة والصّلوات المشتركة الّتي سَهَّلَ لها الجميع، ذلك كلّه أسهم في التّوفير الحسّيّ **لشروط الحوار**. في أثناء المَجمع، استطاع ممثّلو الكنائس والجماعات المسيحيّة الأخرى أن يتحقّقوا من جهوزيّة المصفّ الأسقفيّ الكاثوليكيّ في العالم أجمع للحوار، وبالأخصّ من جهوزيّة الكرسيّ الرّسوليّ.

(البِنى المحلّيّة للحوار)

٣١– مسؤوليّة الحوار المسكونيّ الّذي حُدّد بوضوح منذ زمن المَجمع، ليست البتّة امتيازًا مقصورًا على الكرسيّ الرّسوليّ، بل يقع أيضًا على عاتق الكنائس المحلّيّة أو الخاصّة. ولقد أنشأت المجالس الأسقفيّة وسينودسات الكنائس الشّرقيّة الكاثوليكيّة لجانًا لتعزيز الرّوح والعمل المسكونيَّين. وعلى صعيد الأبرشيّات، تعمل بكلّ جدارةٍ بِنًى مماثلة. تؤكّد هذه المبادرات التزام الكنيسة الكاثوليكيّة الحسّيّ والشّامل في تطبيق التّوجيهات المَجمعيّة حول العمل المسكونيّ: إنّ هذا لَمظهرٌ أساسيٌّ من مظاهر الحركة المسكونيّة[٥٥]. والحوار لم يُباشَر به فحسب، **بل إنّه أصبح ضرورة صريحة وإحدى أولويّات الكنيسة**؛ ولاحقًا، تبلورت «التّقنيّة» الضّروريّة لتسيير الحوار، ممّا عَزّز في الوقت عينه روح الحوار. وهذا يعني أوّلًا الحوار بين مسيحيّي الكنائس أو الجماعات المختلفة، وقد «قادَ دفّته فيها أهلُ الخبرةِ والاطّلاع الحسن؛ فَسَّرَ كلُّ واحدٍ تعليمَ طائفتِه تفسيرًا دقيقًا عميقًا، وبَيّنَ بجلاءٍ ما يُميّزها»[٥٦]. ولكن يجدر بمجموع المؤمنين أن يعرفوا الأسلوب الّذي يسمح بالحوار.

---

[٥٥] أُنْظُرْ **مجموعة الحقّ القانونيّ**، قانون ٧٧٥؛ **مجموعة قوانين الكنائس الشّرقيّة**، قانون ٩٠٢–٩٠٤.

[٥٦] أُنْظُرْ: «الحركة المسكونيّة»، رقم ٤.

٣٢– وكما يؤكّد ذلك البيان المَجمعيّ عن الحرّيّة الدّينيّة، «أنّ تَطَلُّبَ الحقيقةِ يجب أنْ يَجْريَ بالطّريقةِ الّتي يختصُّ بها الشّخصُ الإنسانيُّ في كرامتِه وطبيعتِه الاجتماعيّة، أي بالبحثِ الحرّ، وبالتّعلُّم أو التّربية، والتّبادُل الفِكريّ والحِوار، يعرضُ فيها بعضُهم لبعضهم الآخر ما وَقَعوا عليه أو ما حسبوا أنهم وَقعُوا عليه من الحقيقة، وذلك في سبيلِ التّعاون على اكتشاف الحقيقة؛ ومتى تمَّ اكتشافُها وجبَ اعتناقُها بثباتٍ وبقرارٍ ذاتيّ»[٥٧].

وللحوار المسكونيّ أهمِّيَّة أساسيّة. «إنّ هذا الحِوار يُكسِبُ الجميعَ معرفةً أصحّ، وتقديرًا أنصف، لتَعليمِ كلِّ جماعة ولحياتها. وحينئذٍ ينشأ التّعاونُ بين هذه الجماعات على نِطاقٍ أوسع في كلِّ نوعٍ من المشاريعِ الّتي، إذا تجاوَبت مع مقتضيات كلِّ ضمير مسيحيّ، تُسهمُ في بُنيان الخير العامّ. وكذلك أيضًا يمكنُ الاجتماعُ، في المُناسبات، للقيامِ بصلاةٍ مشتركةٍ. وثالثًا وأخيرًا، يتفحَّصُ الجميعُ مَدى أمانَتِهم لإرادةِ المسيح بالنّسبة إلى كنيسته، ويجتهدُون اجتهادًا حثيثًا في التّصدِّي لقضيّة التّجديد والإصلاح»[٥٨].

(الحوار بمثابة فحصٍ للضّمير)

٣٣– اتّسم الحوار المسكونيّ، في نيّة المَجمع، بطابعِ البحث المشترك عن الحقيقة، وبالأخصّ، فيما يعني الكنيسة. فالحقيقة، في الواقع، تُهذِّب الضّمائر وتوجّه عملها لصالح الوحدة. وفي الوقت عينه تطلب أن تُقارَن بصلاة المسيح لأجل الوحدة ضمائرُ وأعمالُ المسيحيّين، الإخوة المُنشقّين. هناك تعاضدٌ بين الصّلاة والحوار.

---

[٥٧] أُنْظُرْ: «الحرّيَّة الدّينيّة»، رقم ٣.

[٥٨] أُنْظُرْ: «الحركة المسكونيّة»، رقم ٤.

فالصّلاة الأعمق والأوعى تسمح للحوار بأن يؤتي ثمارًا أوفر. وإذا ما كانت الصّلاة، من جهة، شرطًا أساسيًّا للحوار، فإنّها تُصبح، من جهة أخرى، ثمرًا له، ثمرًا دائم الكمال.

٣٤- بفضل الحوار المسكونيّ، يُمكن أن نتكلّم عن نُضْجٍ أكبر في صلاتنا المسكونيّة المشتركة بعضنا من أجل بعض. ويُمكن هذا بمقدار ما يؤدّي الحوارُ في الوقت عينه دور فحص للضّمير. وكيف لا نذكر، في هذا الشّأن، كلمات رسالة يوحنّا الأولى: «إذا قُلنا: إنّنا بلا خطيئة ضَللنا أنفسَنا ولم يكُن الحقُّ فينا. وإذا اعترفنا بخطايانا فإنّه أمينٌ بارّ يغفِر لنا خطايانا ويُطَهّرنا من كلّ إثْم» (١ يو ١: ٨-٩). ويقودنا يوحنّا إلى ما أبعد عندما يُؤكّد: «إذا قُلنا: إنّنا لم نخطأ جعلناه كاذبًا ولم تَكُن كلمتُه فينا» (١ يو ١، ١٠).

إنّ مثل هذا النّداء الجذريّ لنعترف بوضعنا كخطأة، يجب أن يكون أيضًا إحدى العلامات المميّزة للرّوح الّذي فيه نُقارب الحوار المسكونيّ. فإذا لم يُؤدِّ إلى فحصٍ للضّمير، إلى نوعٍ من «حوار للضّمائر»، فهل يُمكننا الاتّكالُ على التّأكيد الّذي توحي به إلينا الرّسالة نفسها؟ «يا بَنِيّ، أكتُب إليكم بهذا لئلّا تخطئوا. وإن خَطِئ أحدٌ فهناك شفيعٌ لنا عند الآب وهو يسوع المسيح البارّ، إنّهُ كفّارةٌ لخطايانا بل لِخطايا العالَمِ أجمع» (١ يو ٢: ١-٢).

إنّ خطايا العالم قد رُفِعَت في ذبيحة المسيح الخلاصيّة، وأيضًا للخطايا الّتي اقتُرِفت ضدَّ وحدة المسيحيّين، وخطايا المسيحيّين الرّعاةِ منهم ليسَت أقلَّ من المؤمنين. وحتّى بعد الخطايا العديدة الّتي نجمت عنها الانقسامات التّاريخيّة، **لا تزال وحدة المسيحيّين ممكنة،** شرط أن نعي بتواضع أنّنا أخطأنا ضدّ الوحدة، وأن نقتنع من ضرورة توبتنا. وليست هي الخطايا الفرديّة وحسب الّتي يجب أن تُغفر ونتخطّاها،

ولكن أيضًا الخطايا الاجتماعيّة، وإذا صَحّ القول «بنَى» الخطيئة نفسها الّتي جرّت ويُمكن أن تَجرّ إلى الانقسام وتُثَبّته.

٣٥– مرّة أخرى، ينبري المَجمع إلى مساعدتنا، إذ يُمكن القول إنّ القرار المَجمعيّ عن الحركة المسكونيّة مُشبعٌ بروح التّوبة[٥٩]. وفي هذه الوثيقة، يرتدي الحوار المسكونيّ طابعًا مميّزًا؛ إنّه يتحوّل إلى «حوار التّوبة» وإذًا –على حدّ قول البابا بولس السّادس– إلى «حوار خلاصٍ»[٦٠] حقيقيّ. لا يمكن للحوار أن يجري وفْقَ سعيٍ أفقيّ مَحْض، مقتصرًا على اللّقاء وتبادل وجهات النّظر، أو حتّى على المواهب الخاصّة بكلٍّ من الجماعات. إنّه يسعى أيضًا، وبالأخصّ، إلى التّحلّي بِبُعدٍ عموديّ يُوجّهه نحو فادي العالم وسيّد التّاريخ الّذي هو مصالحتنا.

يكمُنُ البعد العموديّ للحوار في الاعتراف المشترك والمتبَادل لوضعنا كرجال ونساءٍ خاطئين. وهذا هو الحوار الّذي يفتح، أمام إخوةٍ عائشين في جماعاتٍ لا شركةَ كاملة بينها، الفُسحة الدّاخليّة حيث يستطيع المسيحُ، ينبوعُ وحدة الكنائس، أن يعمل بفعاليّة، بمؤازرة قدرة روحه المعزّيّ.

(الحوار، سبيلًا لحلّ التّباينات)

٣٦– الحوار هو أيضًا أداةٌ طبيعيّة لمقاربة وجهات النّظر المختلفة، ولا سيّما للتّدقيق في التّباينات الّتي تعوقُ ملءَ الشّركة بين المسيحيّين. ويجتهد القرار حول الحركة المسكونيّة أوّلًا في وصف الاستعدادات الدّاخليّة الّتي يجب أن تتّسم بها الحوارات العقائديّة القائمة: «على اللّاهوتيّين الكاثوليك أن يَسيروا، في الحوار المسكونيّ،

---

[٥٩] المرجع نفسه، رقم ٤.

[٦٠] أُنْظُرْ: الرّسالة البابويّة «كنيستنا»، فصل ٣، مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٥٦، ١٩٦٤، ص ٦٤٢.

جامعين بين تعشُّقِ الحقيقة والمحبّة الأخويّة والتّواضُع، مُلتزمين الأمانةَ لتعليم الكنيسة الكاثوليكيّة في بحوثهم في الأسرار الإلهيّة بالاتّحاد مع الإخوة المُفارقين»[٦١].

إنّ حبّ الحقيقة هو البُعد الأعمق في البحث الحقيقيّ عن ملءِ الشّركة بين المسيحيّين. من دون هذا الحبّ، يصعب أن نُقارب الصّعوبات الموضوعيّة على الصّعيد اللّاهوتيّ والثّقافيّ والنّفسيّ والاجتماعيّ الّتي نلقاها لدى فَحْص التّباينات. إنّ روح المحبّة تجاه المُحاور، والتّواضع أمام الحقيقة المكتشَفة، يُمكن أن يتطلّبا إعادة نَظَرٍ في بعض التّأكيدات أو بعض المواقف.

وفيما يخصّ دراسة التّباينات، يفرض المَجمع بسطًا واضحًا لكلّ العقيدة. وفي الوقت نفسه، يطلب، في بسط العقيدة الكاثوليكيّة، إلّا تعوق الطّريقة والأسلوبُ الحوار مع الإخوة[٦٢]. إنّه لَمِن المُمكِن أن نشهد لإيماننا وأن نشرح عقيدتنا بطريقة صائبة وعادلة وقريبة المنال، مع الأخذ بعين الاعتبار، من كلا الطّرفَين، بالمستويات الذّهنيّة والاختبار التّاريخيّ الحسّيّ لدى الآخر.

إنّ ملءَ الشّركة تتحقّق، بالطّبع، بتقبُّل الحقيقة كاملةً، الحقيقة الّتي يقود الرّوحُ القدُسُ إليها تلاميذ المسيح. فعلينا إذًا تجنّب كلّ أشكال التّصغير و«التّوفيق» السّهل. ينبغي للقضايا الجدّيّة أن تُحَلّ، لأنّها، في حال إهمالها، ستعود وتظهر في أوقات لاحقة، تحت الشّكل عينه أو بمظهر آخر.

٣٧– يُحدّد قرار «الحركة المسكونيّة» أيضًا المعيار الواجب مراعاته عندما يقوم الكاثوليك بعَرْضِ العقائد ومقارنتها: «ليذكروا، في بَسطِهم للعقيدة، أنّ هناك ترتيبًا أو تسلسلًا في حَقائقِ المعتقد الكاثوليكيّ، نَظرًا إلى صِلتها بأصول الإيمان المسيحيّ.

---

[٦١] أُنْظُرْ: «الحركة المسكونيّة»، رقم ١١.

[٦٢] راجِعْ: المرجع نفسه.

وهكذا تَرتَسمُ مَعالمُ الطّريق الّتي تُفضِي بهم جميعًا، بهذا التّنافُسِ الأخويّ، إلى معرفةٍ أعمقَ واستجلاءٍ أبيَنَ لغنى المسيح الّذي لا يُسبَرُ غورُه»[٦٣].

٣٨- في الحوار، لا مناصَ من مجابهة قضيّة الصّياغات المختلفة الّتي يُعبَّر بها عن العقيدة في الكنائس والجماعات الكنسيّة المختلفة، ممّا يؤول إلى نتائج عديدة في العمل المسكونيّ.

بادئ ذي بدءٍ، وأمام صياغات عقائديّة تختلف عن التّعابير السّائدة في الجماعة الّتي إليها ننتمي، يليق بكلِّ وضوحٍ أن نُميّز ما إذا كانت الكلمات لا تُعبّر عن مضمونٍ مماثل، مثلما تبيّن لنا ذلك، مثلًا، في تصاريحَ مشتركة حديثةِ العهد، وقّعها أسلافي أو أنا نفسي وبطاركةَ كنائسَ كانت، منذ قرون، على نزاع حول قضايا مسيحانيّة. وفيما يخصّ صياغة حقائقَ موحًى بها، أكّد البيان سرّ الكنيسة ما يأتي: «إنّ الحقائق الّتي تَودّ الكنيسة أن تُعلّمها حقًّا بتعابيرها العقائديّة هي، بلا شكّ، متمايزة عن التّصوُّرات المتبدّلة الخاصّة بزمن مُحدّد؛ ولكن من الممكن أن يُعبَّر عنها، عند الاقتضاء، ومن قِبَل السُّلطة التّعليميّة نفسها، بألفاظٍ تتأثّر بتلك التّصوّرات. وبعدَ أَخْذِ كلِّ شيء بعين الاعتبار، لا بدّ من القول إنّ تعابير السُّلطة التّعليميّة العقائديّة كانت أهلًا، منذ البدء، لإبلاغ الحقيقة الموحى بها. وإذ بقيت تلك التّعابير ثابتة لا تتبدّل، فَلَسوف تُتابِع على الدّوام إبلاغَ الحقيقة لمن يُحسنون تفسيرها»[٦٤].

---

[٦٣] أُنْظُرْ: «الحركة المسكونيّة»، رقم ١١. أُنْظُرْ أيضًا: مَجمع عقيدة الإيمان، البيان سرّ الكنيسة حول العقيدة الكاثوليكيّة عن الكنيسة (٢٤ حزيران ١٩٧٣)، رقم ٤؛ أُنْظُرْ أيضًا: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٦٥، ١٩٧٣، ص ٤٠٢.

[٦٤] أُنْظُرْ: «سرّ الكنيسة»، رقم ٥؛ أُنْظُرْ أيضًا مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٦٥، ١٩٧٣، ص ٤٠٣.

وبهذا الشّأن، إنّ الحوار المسكونيّ الّذي يَحضّ الأطراف المعنيّة على التّساؤل والتّفاهم والشّرح المتبادل يسمح باكتشافات غير منتظَرة. أمّا المناظرات والمجادلات المتعصّبة فقد حوّلت إلى تأكيدات متنافرة ما كان في الواقع نتيجة نظرَيْن يبحثان عن الحقيقة نفسها، ولكن من وجهتَي نظرٍ مختلفتَيْن. يجب اليوم، إذًا، إيجاد أسلوبٍ يفهم تلك الحقيقة برمّتها ويسمح بتخطّي قراءات مُجتزأة ويُقصي تفسيراتٍ خاطئة.

من فوائد الحركة المسكونيّة أنّ وساطتها تساعد الجماعات المسيحيّة على اكتشاف غنى الحقيقة الّذي لا يُسبر غوره. هنا أيضًا يُمكن عملُ الرّوح كلُّه في «الآخرين»، في أن يُسهم في بناء الجماعات المختلفة[٦٥]، وبنوعٍ ما أن يُطلعها عن سرّ المسيح. الحركة المسكونيّة الأصيلة هي موهبةُ حقيقةٍ.

٣٩– أخيرًا، يضع الحوار المتحاورين أمام تباينات حقيقيّة تخصّ الإيمان. فمن الواجب أن تُدرَس تلك التّباينات بروح صادقة من المحبّة الأخويّة، واحترامٍ لمتطلّبات ضميره وضمير القريب، وبتواضعٍ عميقٍ وحبٍّ للحقيقة. وفي هذا المجال، تتمّ المقارنة بالنّسبة إلى مرجعَين أساسيَّين: الكتاب المقدّس وتقليد الكنيسة العظيم. أمّا الكاثوليك، من جهتهم، فتدعمهم السُّلطة التّعليميّة الكنسيّة الدّائمة الحيويّة.

(التّعاون العمليّ)

٤٠– لا تهدف العلاقات بين المسيحيّين إلى التّعارف المتبادل والصّلاة المشتركة والحوار فحسب. إنّها تتطلّع، بل تطلب منذ الآن، كلّ تعاونٍ عمليّ مُمكنٍ وعلى

[٦٥] راجِعْ: «الحركة المسكونيّة»، رقم ٤.

مختلف الأصعدة، الرّاعويّة والثّقافيّة والاجتماعيّة، وكذلك في الشّهادة لرسالة الإنجيل[٦٦].

«لا جَرَمَ أنّ هذا التّعاونَ بين جميعِ المسيحيّين يُعبّرُ بقوّةٍ عن الاتّحادِ الكائنِ بينهم، ويُسلّطُ الأنوارَ على وجهِ المسيح الّذي إنَّما جاء ليَخْدُمَ»[٦٧]. إنّ هذا التّعاون المرتكز على الإيمان المشترك تُغنيه الشّركة الأخويّة، بل هو أيضًا ظهورٌ للمسيح نفسه.

وعلاوةً على ذلك، إنّ التّعاون المسكونيّ مدرسةٌ حقّة للعمل المسكونيّ؛ إنّه سبيل فعّال في اتّجاه الاتّحاد. تقود وحدة العمل إلى ملء وحدة الإيمان: «إنَّ جميعَ المؤمنينَ بالمسيح يَجدُون في هذا التّعاونِ السّبيلَ إلى المَزيدِ من التّعارفِ والتّقدير المُتبادل، ثمّ تهيئةَ السّبيلِ إلى الوحدة بين المسيحيّين»[٦٨].

في نظر العالم، يتوافق التّعاون بين المسيحيّين والشّهادة المسيحيّة المشتركة، ويُصبح أداةً للتّبشير بالإنجيل لمصلحة كلا الطّرفَيْن.

---

[٦٦] أُنْظُرْ البيان المسيحانيّ المشترك بين الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المشرق الأشوريّة: «الأوسرفاتوري رومانو»، ١٩٩٤/١١/١٢، ص ١.

[٦٧] أُنْظُرْ: «الحركة المسكونيّة»، رقم ١٢.

[٦٨] المرجع نفسه.

الفصل الثّاني
ثمار الحوار

(الأخوّة المستعادة)

٤١– ما قيل سابقًا عن الحوار المسكونيّ الجاري منذ اختتام المَجمع يقود إلى رفع آيات الشّكر لروح الحقّ الّذي وَعَدَ به المسيح رسلَه وكنيسته (أُنْظُرْ يو ١٤، ٢٦). للمرّة الأولى في التّاريخ، يبلغ العمل من أجل اتّحاد المسيحيّين مثل هذه الأبعاد ويتّسع مثلَ هذا الاتّساع. إنّ في ذلك لَهِبَةٌ عظيمة منحها الله وتستحقّ كلّ الشّكران. فمن ملء المسيح نحصل على «نعمة فوق نعمة» (يو ١، ١٦). إنّ الاعتراف بما منحنا إيّاه الله هو شرطٌ يُوهّلنا لأن نحصل على مواهب ضروريّة أيضًا، حتّى يَبلغ العملُ المسكونيُّ من أجل الوحدة كمالَه.

إنّ نظرةً شاملةً إلى الثّلاثين سنة الأخيرة تسمح بأنّ نَعيَ أفضل الثّمار العديدة، ثمارَ الارتداد الشّامل إلى الإنجيل الّذي كانت الحركة المسكونيّة أداةً له، بفضل الرّوح القدس.

٤٢– المثالُ على ذلك – وفقًا لروح الخطبة على الجبل نفسه – أنّ مسيحيّي مذهبٍ ما لا يعتبرون من بعدُ المسيحيّين الآخرين أعداءً أو غرباء، بل يرَون فيهم إخوة لهم وأخوات. ومن جهة أخرى، بدلًا من العبارة «الإخوة المنفصلون»، يستعيض عنها العرفُ اليوم بألفاظٍ أفضل تُعبّر عن عُمق الشّركة المرتبطة بطابع المعموديّة، الّذي يُغذّيه الرّوح بالرّغم من الانقسامات التّاريخيّة والقانونيّة. فَبِتْنا نتحدّث عن «المسيحيّين الآخرين»، وعن «المعمّدين الآخرين»، وعن «مسيحيّي

الجماعات الأخرى». و**الدّليل لتطبيق مبادئ الحركة المسكونيّة وقواعدها**، يُسمّي الجماعات الّتي ينتمي إليها هؤلاء المسيحيّون «كنائس وجماعات كنسيّة ليست في ملء الشّركة مع الكنيسة الكاثوليكيّة»[٦٩]. إنّ هذا التّطوّر في التّعبير يُعربُ عن تطوّر بارز في الذّهنيّات. بات وعيُ الانتماء المشترك إلى المسيح يتعمّق، ولقد خبِرتُ ذلك شخصيًّا مرّاتٍ عديدة في أثناء احتفالاتٍ مسكونيّة تُعَدّ من أهمّ الأحداث، خلال أسفاري الرّسوليّة إلى مختلف أنحاء العالم، أو في لقاءات واحتفالاتٍ مسكونيّة جرت في روما. إنّ «أخوّة المسيحيّين الشّاملة» أصبحت اقتناعًا مسكونيًّا راسخًا. وفيما طُرحت في عالم النّسيان حرومات الماضي، أخذت الجماعات، المتنافسة وقتًا ما، تتعاون اليوم في مجالات عدّة: فتوضَع أحيانًا أبنية العبادة في تصرُّف الآخرين؛ ويُتبرّع بمِنحٍ مدرسيّة لتثقيف خدّام الجماعات الأكثر فاقة وحاجةً؛ ويُتوسَّط لدى السّلطات المدنيّة، دفاعًا عن مسيحيّين آخرين اتُّهموا ظلمًا، ويُثبّت عدمُ أساس افتراءاتٍ وقعت ضحيّتَها مجموعاتٌ أخرى.

وقُصارى القول، إنّ المسيحيّين ارتدّوا إلى محبّةٍ أخويّة تشمل جميع تلاميذ المسيح. فإذا ما حَصَلَ، من جرّاء انتفاضات سياسيّة عنيفة، أن ظهر بعضُ العدوان أو روحُ ثأرٍ، في أوضاعٍ محدّدة، تبادرُ سلطات الأطراف المعنيّة، إجمالًا، إلى تغليب «الشّريعة الجديدة» شريعةِ روح المحبّة لكن لم يستطع هذا الرّوحُ – ويا لَلأسف! – أن يُبدّل جميع حالات النّزاع الدّمويّ. في هذه الأحوال، على المنخرطين في العمل المسكونيّ أن يُبدوا بطولةً أصيلةً لدى أخذ قراراتهم.

---

[٦٩] أُنْظُرْ: **دليل لتطبيق مبادئ الحركة المسكونيّة وقوانينها**، رقم ٥؛ أُنْظُرْ أيضًا: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٨٥، ١٩٩٣، ص ١٠٤٠.

وفي هذا الشّأن، يجدر بنا أن نؤكّد مجدّدًا أنّ الاعتراف بالأخوّة ليس مجرّد نتيجة حبٍّ بشريّ متسامح، أو روح عَيليّ مبهم. إنّه يتأصّل في الاعتراف بمعموديّةٍ واحدة وفيما يتأتّى عنها من تطلّبٍ بأن يُمجَّد الله في خليقته. إنّ **الدّليل لتطبيق مبادئ الحركة المسكونيّة** وقوانينها يتمتّى اعترافًا متبادلًا ورسميًّا بالمعموديّات[٧٠]. وهذا يقود إلى ما أبعد من بادرة تهذيب مسكونيّ ويُشكّل تأكيدًا كنسيًّا أساسيًّا.

ويجدر بنا أن نُذكّر بأنّ الطّابع الأساسيّ للمعموديّة في عمليّة بُنيان الكنيسة قد ظهر بوضوح بفضل الحوار المتشعّب الأطراف[٧١].

(التّضامن في خدمة البشريّة)

٤٣– بات من الغالب، أكثر فأكثر، أن يتّخذ المسؤولون عن الجماعات المسيحيّة موقفًا موحّدًا، باسم المسيح تجاه قضايا هامّة تتعلّق بالدّعوة الإنسانيّة والحرّيَّة والعدالة والسّلام ومستقبل العالم. وبفعلهم هذا، «يتضامنون» في سبيل إحدى الوظائف المكوّنة للرّسالة المسيحيّة: ألا وهي تذكير المجتمع، بطريقة تعرف أن تكون واقعيّة، بإرادة الله، فيُحذّرون السّلطات والمواطنين كي لا يسلكوا السّبيل المؤدّي إلى دَوْسِ الحقوق الإنسانيّة. من الواضح، والاختبار شاهدٌ على ذلك، أنّ لصوت المسيحيّين الجماعيّ تأثيرًا، في بعض الظّروف، أكثر من صوتٍ منفرِد.

إنّ المسؤولين عن الجماعات ليسوا الوحيدين المرتبطين بهذا الالتزام من أجل الوحدة. فالعديد من المسيحيّين من كلّ الجماعات يُشاركون باسم إيمانهم، في مشاريع جريئة تبغي تبديل وجه العالم، نُصرةً لاحترام حقوق الجميع وحاجاتهم، وبخاصّة الفقراء

---

[٧٠] راجِعْ: المرجع نفسه، رقم ٩٤؛ ورد في المجموعة نفسها، ص ١٠٧٨.

[٧١] أُنْظُرْ لجنة «إيمان ونظام» التّابعة لمجلس الكنائس العالميّ، معموديّة، إفخارستيّا، خدمة (كانون الثّاني ١٩٨٢).

والمذلولون والّذين لا سَنَدَ لهم. في الرّسالة البابويّة **الاهتمام بالشّأن الاجتماعيّ** سجّلتُ بفرحٍ هذا التّعاون، مشيرًا إلى أنّ الكنيسة الكاثوليكيّة لا يُمكن أن تتملّص منه[٧٢]. في الواقع، إنّ المسيحيّين الّذين كانوا في الماضي يعملون باستقلاليّة أصبحوا اليوم ملتزمين معًا خدمة هذه القضيّة، كي تنتصر رحمتُه تعالى.

إنّ المنطق هو منطق الإنجيل. لذلك فيما ذكّرتُ بما كتبْتُ في رسالتي البابويّة الأولى **فادي الإنسان** أُتيح لي «أن أُشدّد على هذه النّقطة وأُشجّع كلّ جهدٍ في هذا السّبيل، على كلّ المستويات الّتي فيها نلتقي إخوتنا المسيحيّين»[٧٣]. وشكرت لله كلّ ما حقّق حتّى الآن في الكنائس والجماعات الكنسيّة الأخرى وبواسطتها، وما حقّق بواسطة الكنيسة الكاثوليكيّة[٧٤]. واليوم، إنّي ألاحظ بارتياح أنّ شبكة التّعاون المسكونيّ الفسيحة تتّسع أكثر فأكثر. وبفضل تأثير مجلس الكنائس العالميّ تحقّقَ، في هذا المجال، عملٌ هامّ.

(نقاط التّلاقي فيما يخصّ كلمة الله والطّقس الإلهيّ)

٤٤– يُعَبَّرُ عن التّقدُّم الّذي أُحرِزَ في الارتداد المسكونيّ في مضمار آخر، مضمار كلمة الله. أُفكّر قبل كلّ شيّ في حَدَثٍ مهمّ للفِرَق اللّغويّة المختلفة، وهو التّرجمة المسكونيّة للكتاب المقدّس. بعد إعلان المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني الدّستور

---

[٧٢] أُنظُر الرّسالة البابويّة **الاهتمام بالشّأن الاجتماعيّ**، رقم ٣٢. ظهرت هذه الرّسالة في منشورات اللّجنة الأسقفيّة لوسائل الإعلام، جلّ الدّيب (لبنان)، ١٩٨٨.

[٧٣] خطابٌ إلى الكرادلة والدّوائر الرّومانيّة (١٩٨٥/٦/٢٨)، رقم ١٠؛ مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٧٧، ١٩٨٥، ص ١١٥٨؛ أُنظُر أيضًا الرّسالة البابويّة «فادي الإنسان» (٤ آذار ١٩٧٩)، رقم ١١؛ مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسولي»، ٧١، ١٩٧٩، ص ٢٧٧–٢٧٨. ظهرت الرّسالة في منشورات اللّجنة الأسقفيّة لوسائل الإعلام، جلّ الدّيب (لبنان)، ١٩٧٩.

[٧٤] الخطاب إلى الكرادلة...، المرجع السّابق.

العقائديّ «الوحي الإلهيّ»، لم يكن في وِسْع الكنيسة الكاثوليكيّة إلّا أنّ تتقبّل بفرحٍ هذا الإنجاز[٧٥]. إنّ هذه التّرجمات، وهي عمل أخصّائيّين، تُقدّم إجمالًا أساسًا أكيدًا للصّلاة والنّشاط الرّاعويّ لجميع تلاميذ المسيح. والّذين يذكرون ما كان للمناقشات من تأثير على الانقسامات، بالأخصّ في الغرب، يُمكنهم أن يُدركوا التّقدُّم البارز الّذي تُمثّله تلك التّرجمات المشتركة.

٤٥– في العديد من الجماعات الكنسيّة، قابل التّجدّدَ اللّيترجيّ في الكنيسة الكاثوليكيّة مبادرةُ تجديدِ طقسهم هُمْ أيضًا. وبعضٌ من تلك الجماعات، نزولًا عند رغبةٍ على الصّعيد المسكونيّ[٧٦]، تخلّى عن العادة السّائدة بألّا يُحتفل بليترجيّا العشاء السّرّيّ إلّا نادرًا، واختار الاحتفال بها كلّ يوم أحد. وعلاوةً على ذلك، إذا ما قارنّا دورات القراءات الطّقسيّة في مختلف الجماعات المسيحيّة الغربيّة لوجدنا أنّها تلتقي في المهمّ. وعلى الصّعيد المسكونيّ[٧٧]، دومًا، أُعطيَت أهمّيّةٌ خاصّة للّيترجيّا والرّموز الطّقسيّة (الصّور والأيقونات والملابس والنّور والبخّور والحركات). وإلى ذلك، بدأت دراسة تاريخ اللّيترجيّا ومعناها، في معاهد اللّاهوت الّتي تُهيّئ خُدّام المستقبل، تأخذ مكانها في البرامج، إذ إنّها ضرورةٌ نعملُ مُجدّدًا على اكتشافها.

---

[٧٥] الأمانة العامّة لتعزيز وحدة المسيحيّين واللّجنة التّنفيذيّة لجمعيّة الكتاب المقدّس العالميّة، توجيهات فيما يخصّ التّعاون بين الطّوائف في ترجمة الكتاب المقدّس، وثيقة مشتركة 992-981 طبعة منقّحة ومستحدثة في وثيقة التّوجيهات المتعلّقة بالتّعاون بين الطّوائف في ترجمة الكتاب المقدّس (١٦ تشرين الثّاني ١٩٨٧): طباعة فاتيكانيّة في عدّة لغات، ١٩٨٧.

[٧٦] أُنْظُرْ المرجع السّابق في الحاشية ٧١.

[٧٧] كما حَدَث ذلك، على سبيل المثال، في اجتماعات «مجلس الكنائس العالميّ» الأخيرة في فانكوفر (١٩٨٣)، وكانبرا (١٩٩١)، وفي أثناء اجتماع لجنة «إيمان ونظام» في مركز القدّيس يعقوب كومبوستيل (١٩٩٣).

إنّ في ذلك علامات تلاقٍ تُصيب مظاهر مختلفة من حياة الأسرار. ومن المؤكّد أنّه، بسبب التّباينات في الإيمان، لا يُمكن بَعْدُ أن نشارك في اللّيترجيّا الإفخارستيّة نفسها. و«نحن أيضًا»، نلتهب رغبةً في أن نحتفل معًا بإقامة إفخارستيّا الرَّبّ الواحدة، وتلك الرّغبة أصبحت ابتهالًا مشتركًا وتوسُّلًا واحدًا. معًا، نتوجّه إلى الآب، ونتوجّه إليه دومًا أكثر بقلب واحد. وأحيانًا، تبدو قريبةَ المنال إمكانيّةُ عَقْدِ هذه الشّركة الحقيقيّة ولكن غير المكتملة بَعْدُ. فمن كان يُمكنه تخيّل ذلك منذ قرن؟

٤٦– بهذا الرّوح، إنّا لَسعيدون أن يستطيع الكهنة الكاثوليك، في أحوال خاصّة مُحدّدة، مَنْحَ أسرار الإفخارستيّا والتّوبة ومسحة المرضى لمسيحيّين آخرين ليسوا في ملء الشّركة مع الكنيسة الكاثوليكيّة، ولكن يرغبون بحرارة في نيلها، ويطلبونها بحرّيّة ويُشاطرون الإيمان الّذي تعترف به الكنيسة الكاثوليكيّة في تلك الأسرار. وفي المقابل، وفي قضايا مُحدَّدة وفي ظروف خاصّة، يُمكن للكاثوليك أن يلجأوا لنَيْل الأسرار نفسها، إلى خَدَمة كنائس تُعَدّ فيها تلك الأسرار صالحة. ولقد حُدّدت شروطُ ذلك اللّقاء المتبادل في نُظُمٍ، ويُفرض التّقيُّدُ بها تعزيزًا للعمل المسكونيّ[٧٨].

(تقدير الثّروات الموجودة عند المسيحيّين الآخرين)

٤٧– لا يتركّز الحوار على العقيدة دون سواها، ولكنّه يخصّ الشّخص بأكمله: فهو أيضًا حوار حُبٍّ. لقد أعلن المَجمع: «لا بدَّ للكاثوليك من أن يرتاحوا

---

[٧٨] أُنْظُرْ: «الحركة المسكونيّة»، رقم ٨ و١٥؛ «مجموعة الحقّ القانونيّ» للكنيسة اللّاتينيّة، ق ٨٤٤؛ «مجموعة قوانين الكنائس الشّرقيّة»، ق ٦٧١؛ **دليل لتطبيق مبادئ الحركة المسكونيّة وقوانينها**، رقم ١٢٢–١٢٥؛ مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسولي»، ١٩٨٣، ص ١٠٨٦–١٠٨٧؛ رقم ١٢٩–١٣١: ص ١٠٨٨–١٠٨٩؛ رقم ١٢٣ و١٣٢، ص ١٠٨٧ و١٠٨٩.

للاعتراف حقًّا بالقِيَم المسيحيّة الّتي توجدُ عند إخوتنا المفارقين، ويُقدّروا هذه القيمَ النّابعة من التّراثِ المشترك. فإنّه من العدلِ والمفيدِ للخلاصِ الاعترافُ بغنى المسيح، وبقُدرتِه العاملةِ في حياةِ الّذين يشهدون له حتّى السّخاء بدمائِهم أحيانًا؛ فإنّ اللهَ عجيبٌ على الدّوام ويجبُ أن يكونَ موضعَ الإعجاب في أعماله»[٧٩].

٤٨– إنّ العلاقات الّتي أقامها، منذ المَجمع، أعضاءٌ من الكنيسة الكاثوليكيّة مع المسيحيّين الآخرين أظهرت ما يُحقّقه الله في المنتمين إلى كنائس وجماعات كنسيّة أخرى. هذا الاتّصال المباشر، على أصعدة مختلفة، بين الرّعاة وبين أعضاء الجماعات، جعلنا نَعي تمام الوعي الشّهادة الّتي يُؤدّيها المسيحيّون الآخرون لله وللمسيح، فانفتح بذلك مجالٌ واسعٌ للغاية أمام الاختبار المسكونيّ، الّذي هو، في الوقت عينه، تحدٍّ يواجه عصرنا. أليس القرن العشرون زمن الشّهادة العظمى الّتي «تُؤدّي حتّى إلى سفك الدّم»؟ وهذه الشّهادة، ألا تعني أيضًا الكنائس والجماعات الكنسيّة المختلفة الّتي تأخذ اسمها من المسيح الّذي صُلِب وقام من بين الأموات؟

إنّ شهادة القداسة المشتركة هذه، عربون الأمانة للرَّبّ الواحد، هي قدرةٌ مسكونيّة غنيّةٌ كلّ الغنى بالنّعمة. ولقد نَوَّهَ المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني إلى أنّ الثّروات الموجودة عند المسيحيّين الآخرين يُمكن أن تُسهم في بنيان الكاثوليك: «يجبُ أيضًا ألّا نَنسى أنّ كلَّ ما تَفعلُه نعمةُ الرّوح القدس في إخوتنا المفارقين من شأنه أن يُسهم في بنيانِنا؛ فإنّه ما من شيءٍ البتّة، ممّا هو مسيحيّ حقًّا، يتعارضُ مع قِيمِ الإيمان الحقّة، وإنّما من شأنه المساعدةُ على النّفاذِ أكثر وأفضلَ في سِرّ المسيح والكنيسة»[٨٠].

---

[٧٩] أُنْظُرْ: «الحركة المسكونيّة»، رقم ٤.

[٨٠] المرجع السّابق.

الحوار المسكونيّ، كحوار خلاص حقيقيّ، لن يني في تعزيز التّقدُّم، وقد بَلَغَ شأوًا كبيرًا، نحو الشّركة الحقّة والكاملة.

(تَقدّمُ الشّركة)

٤٩– إنّ تقدّم الشّركة هو الثّمرة الثّمينة للعلاقات بين المسيحيّين وللحوار اللّاهوتيّ الجاري بينهم. فالعلاقات والحوار جعلت المسيحيّين يعُون معطيات الإيمان المشتركة فيما بينهم، وساهمت في توطيدٍ أوثقَ لالتزامهم المسيرة نحو الوحدة. وفي ذلك كلّه، يبقى المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني المُشجِّع الأعظم للحيويّة وللتّوجيهات المسكونيّة.

إنّ الدّستور العقائديّ «الكنيسة» (نور الأمم) يجمع بين العقيدة الخاصّة بالكنيسة الكاثوليكيّة والاعتراف بالعناصر الخلاصيّة الموجودة في الكنائس والجماعات الكنسيّة المختلفة[٨١]. وهذا لا يعني وعيَ عناصرَ جامدةٍ تتواجد من دون حراك في تلك الكنائس والجماعات. فهي، بصفتها ثرواتِ كنيسة المسيح، تعمل من طبيعتها على إعادة لُحمةِ الوحدة. وينجم عن ذلك أنّ التّوق إلى وحدة المسيحيّين ليس عملًا اختياريًّا واعتباطيًّا، بل واجبٌ يفرضه تكوينُ الجماعة المسيحيّة نفسُه.

ومن هذا القبيل، إنّ الحوارات اللّاهوتيّة الثّنائيّة مع أهمّ الجماعات المسيحيّة تنطلق من الاعتراف بدرجة الشّركة القائمة آنئذٍ، حتّى يُصار تدريجيًّا إلى مناقشة

[٨١] راجِعْ: «الكنيسة»، رقم ١٥.

الخلافات القائمة مع كلّ منها. ولقد سَمَحَ الرّبُّ لمسيحيّي الزّمن الحاضر أن يُخفِّضوا المسائل التّقليديّة المتنازَع عليها.

(الحوار مع الكنائس الشّرقيّة)

٥٠– في هذا الصّدد، علينا قبل كلّ شيء أن نلاحظ، مع الشّكر الحميم للعناية الإلهيّة، أنّ الرّوابط مع الكنائس الشّرقيّة، المتراخية مدّة قرون، قد عادت واشتدّت مع المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني. إنّ مُراقبي تلك الكنائس الحاضرين المَجمع، ومُمثّلي الكنائس والجماعات الكنسيّة الغربيّة، أعربوا جميعُهم علنًا، وفي وقتٍ مثل هذا، رسميّ للكنيسة الكاثوليكيّة، عن الإرادة المشتركة في طَلَبِ الوحدة.

نظر المَجمع، من جهته، بموضوعيّة وبخالص المحبّة، إلى كنائس الشّرق الّتي تُبرزُ أصولها الكنسيّة وروابط الشّركة الواقعيّة الّتي تشُدُّها إلى الكنيسة الكاثوليكيّة. في هذا الصّدد، يُعلن القرار المَجمعيّ «الحركة المسكونيّة» ما يأتي: «بإقامة إفخارستيّا الرّبِّ في كلِّ كنيسةٍ خاصّةٍ تُبنى كنيسةُ الله وتنمو؛ ويُضيف بالتّالي أنّ هذه الكنائس لا تزال، على افتراقها، تَملكُ أسرارًا حقيقيّة، ولا سيّما الرّتَب الكهنوتيّة والإفخارستيّا، بفعلِ الخِلافةِ الرّسوليّة، واللّذَيْن بهما تتّحدُ بنا اتّحادًا صميمًا»[٨٢].

اعترف المَجمع، للكنائس الشّرقيّة، بالتّقليد العظيم اللّيترجيّ والرّوحانيّ، وبالطّابع المميّز لتطوّرها التّاريخيّ، وبالأنظمة الّتي اتّبعتها منذ العصور الأولى، والّتي ثبّتها الآباء القدّيسون والمجامع المسكونيّة، وبالأسلوب الخاصّ الّذي به تُعبّر عن العقيدة. كلّ

[٨٢] المرجع السّابق، رقم ١٥.

هذا تَرافقَ والاعتقاد الرّاسخ بأنّ التّنوُّع المشروع لا يُناقض البتّة وحدة الكنيسة، بل يُنمّي مكانتها ويُسهم بوفرةٍ في إتمام رسالتها.

يريد المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني أن يُركّز الحوار على الشّركة القائمة، ويُلفت الانتباه إلى واقع الكنائس الشّرقيّة الغنيّ: «من أجل ذلك يَحثُّ المَجمع جميعَ المؤمنين، ولا سيّما الّذين يعتزِمُون العملَ على قِيام الشّركة التّامَّةِ المنشُودةِ بين الكنائس الشّرقيّة، والكنائس الكاثوليكيّة، على مُراعاة الحالةِ الخاصّةِ الّتي كانت عليها كنائسُ الشّرقِ في عَهدِ مَولِدِها وتَرعرُعِها، وطبيعةِ العَلاقات الّتي كانت قائمةً بينها وبين الكرسيّ الرّومانيّ قبل الافتراق، ثُمَّ على تكوينِ حُكمٍ صحيحٍ في جميعِ هذه النّقاط»[٨٣].

٥١– لقد أثمر هذا التّوجُّه المَجمعيّ علاقاتِ أخوّةٍ تطوّرت بفضل حوار المحبّة، والنّقاش في إطار اللّجنة المشتركة الدّوليّة للحوار اللّاهوتيّ بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة الأرثوذكسيّة. وأثمر أيضًا ثمارًا وافرة في العلاقات مع الكنائس الشّرقيّة القديمة.

ولقد توفَّر ذلك بواسطة مسيرة بطيئة ومُثابرة، نَجَمَ عنها، مع ذلك، فرحٌ عظيم، وتميّزت أيضًا بحماسٍ شديد، إذ سمحت بأن نُلاقي تدريجيًّا الإخوة.

(استئناف الاتّصالات)

٥٢– فيما يخصّ كنيسة روما وبطريركيّة القسطنطينيّة المسكونيّة، انطلقت المسيرة الّتي أشرنا إليها، بفضل الانفتاح المتبادل الّذي عبّر عنه البابا يوحنّا الثّالث

[٨٣] المرجع نفسه، رقم ١٤.

والعشرون والبابا بولس السّادس، من جهة، والبطريرك المسكونيّ أثيناغوراس الأوّل وخلفاؤه، من جهة ثانية. ولقد تَجلّى التّبدُّل التّاريخيُّ الحاصل بالقرار الكنسيّ الّذي بفضله «أُزيل من ذاكرة الكنائس ووسطها»[٨٤] ذِكْرُ الحرومات الّتي شكّلَت منذ تسعمائة سنةٍ، سنة ١٠٥٤، رَمز الانشقاق بين روما والقسطنطينيّة. إنّ هذا الحدث الكنسيّ ذا البُعد المسكونيّ الرّفيع جرى في الأيّام الأخيرة من المَجمع، في السّابع من كانون الأوّل ١٩٦٥. وهكذا اختتم المَجمع أعماله بقرارٍ رسميّ كان في الوقت نفسه تنقيةً للذّاكرة التّاريخيّة وغفرانًا متبادلًا والتزامًا متضامِنًا للبحث عن الشّركة.

سَبَقَ تلك المبادرة لقاءُ البابا بولس السّادس والبطريرك أثيناغوراس الأوّل بالقدس، في كانون الثّاني ١٩٦٤، في أثناء زيارة البابا للأراضي المقدّسة. وبهذه المناسبة، استطاع البابا أيضًا أن يلتقيَ بطريرك القدس الأرثوذكسيّ بندكتوس. ولاحقًا، قام البابا بولس السّادس بزيارة البطريرك أثيناغوراس الأوّل بالفنار (إسطنبول)، في ٢٥ تموّز ١٩٦٧؛ وفي شهر تشرين الأوّل من العام نفسه، استُقبل البطريرك بكلّ حفاوةٍ في روما. إنّ تلك اللّقاءات في الصّلاة أظهرت السّبيلَ الواجب اتّباعُه للتّقريب بين كنيسة الشّرق وكنيسة الغرب، لاسترجاع الوحدة القائمة بينهما في خلال الألف الأوّل.

على أثر وفاة البابا بولس السّادس وحبريّة يوحنّا بولس الأوّل القصيرة، عندما أُنيطَت بي خدمةُ أسقفيّة روما، رأيتُ أنّه من أوّل واجبات خدمتي الحبريّة استئنافُ

---

[٨٤] أُنْظُرْ التّصريح المشترك للبابا بولس السّادس وبطريرك القسطنطينيّة أثيناغوراس الأوّل (٧ كانون الأوّل ١٩٦٥) في **سفر المحبّة**، الفاتيكان – الفنار (١٩٥٨–١٩٧٠)، منشورات المكتبة البولسيّة (لبنان)، ١٩٨٨، ص ١٢٩–١٣٦.

الصّلة الشّخصيّة بالبطريرك المسكونيّ ديمتريوس الأوّل الّذي كان في تلك الأثناء قد خَلَفَ البطريرك أثيناغوراس على كرسيّ القسطنطينيّة. وخلال زيارتي في التّاسع والعشرين من تشرين الثّاني ١٩٧٩، قرّرنا، البطريرك وأنا، أن نُعاود الحوار اللّاهوتيّ بين الكنيسة الكاثوليكيّة وجميع الكنائس الأرثوذكسيّة المرتبطة بالشّركة القانونيّة مع كرسيّ القسطنطينيّة. في هذا الصّدد، من المهمّ أن نضيف أنّ الاستعدادات، في ذلك الوقت، لانعقاد سينودس الكنائس الأرثوذكسيّة المقبل، كانت جاريةً. إنّ البحث عن التّناسق يُسهم في حياة تلك الكنائس الشّقيقة وحيويّتها، وهذا انطلاقًا أيضًا من الدّور الّذي أدَّته في المسيرة نحو الاتّحاد. رَغِبَ البطريرك المسكونيّ في أن يَرُدّ لي الزّيارة الّتي قُمتُ بها إلى عنده. ففي كانون الأوّل ١٩٨٧ سرّني أن أستقبله في روما بمحبّة صادقة وبالحفاوة اللّائقة. في هذا الجوّ من الأخوّة الكنسيّة، يجب أن نُذكّر بالتّقليد الّذي درجنا عليه منذ سنوات، بأن نستقبل في روما، في عيد القدّيسَيْن، هامتَي الرّسُل بطرس وبولس، وفدًا من البطريركيّة المسكونيّة، وأن نوفد بدورنا إلى الفنار وفدًا من الكرسيّ الرّسوليّ للاحتفال الرّسميّ بعيد القدّيس أندراوس.

٥٣– تسمح هذه اللّقاءات المنتظمة، فيما تسمح به، بِتَبادُلٍ مباشَر للمعلومات والآراء بُغية التّنسيق الأخويّ. وفضلًا عن ذلك، بالمشاركة في الصّلاة، نستعيد عادةً العيش جنبًا إلى جنب؛ وتحثُّنا الصّلاة على التّقبُّل معًا إرادة الرّبّ لكنيسته، وبالتّالي وَضْعها موضعَ التّنفيذ.

طوال الطّريق الّذي اجتزناه منذ المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني، لا بُدّ من أن نَذكُر على الأقلّ حدَثَيْن بالِغَي التّعبير، والأهمِيَّة المسكونيّة فيما يخُصّ العلاقات بين الشّرق والغرب: نذكُر أوّلًا يوبيل سنة ١٩٨٤ الّذي أُعلِن للاحتفال بالذّكرى المئويّة الحادية

عشرة لرسالة التّبشير الّتي قام بها كيرلّس ومتوديوس، والّتي سمحت لي بأن أُعلن القدّيسيَن رسولَي الصّقالبة ورسولَي الإيمان شفيعَيْن لأوروبّا. إنّ إشراك الأخَوَين التّسالونيكيَّيْن والمؤسّسَ العظيم للحياة الرّهبانيّة في الغرب يُضفي، بطريقة غير مباشرة، طابَعًا مُميّزًا على التّقليد الثّنائيّ الكنسيّ والثّقافيّ المرموق لألفَي سنة من المسيحيّة وَسَمَت تاريخ القارّة الأوروبّيَّة. إنّه لَمِن المفيد الإشارة إلى أنّ كيرلُّس ومتوديوس جاءا من أوساط الكنيسة البيزنطيّة المعاصرة لهما، في زَمنٍ كانت في ملء الشّركة مع روما. فعند إعلانهما شفيعَين لأوروبّا مع القدّيس بندكتوس، لم أرغَب فقط في تأكيد الحقيقة التّاريخيّة عن المسيحيّة في القارّة الأوروبّيّة، بل أردتُ اقتراح موضوع هامّ للحوار بين الشّرق والغرب أثارَ عظيم الرّجاء في فترة ما بعد المَجمع. وكما أنّ أوروبّا اهتدَت إلى جذورها مع القدّيس بندكتوس، فهي تعود الآن وتهتدي مع القدّيسَين كيرلّس وميتوديوس. وفيما الألف الثّاني لميلاد المسيح يُشرف على نهايته، علينا أن نُكرّم هؤلاء القدّيسين معًا، كشفعاء لماضينا وكقدّيسين تعهد لهم بمستقبلها كنائسُ القارّة الأوروبّيّة وبُلدانُها.

٥٤– الحَدَثُ الآخر الّذي يطيب لي أن أَذكره هو الاحتفال بالألف الأوّل لمعموديّة الرّوس (٩٨٨–١٩٨٨). إنّ الكنيسة الكاثوليكيّة، وبالأخصّ الكرسيّ الرّسوليّ، أرادت أن تُشارك في الاحتفالات اليوبيليّة وعملَتْ على تأكيد أنّ المعموديّة الّتي مُنِحت للقدّيس فلاديمير في كييف كانت حَدَثًا رئيسيًّا لتبشير العالم بالإنجيل. فإليه يعود إيمانُ أُمم أوروبّا الشّرقيّة الصّقلبيّة العظيمة، وكذلك إيمان الشّعوب الّتي تعيش ما وراء الأورال وحتّى ألاسكا.

فمن وجهة النّظر هذه، تأخذ معناها الأعمق عبارَةٌ كثيرًا ما ردّدتُها: على الكنيسة أن تتنفسّ برئتَيْها! في أثناء الألف الأوّل من تاريخ المسيحيّة، عبّرت تلك العبارة بالأخصّ عن ثنائيّة بيزنطية–روما؛ ومنذ معموديّة الرّوس، اتّسعَ مداها، وشَمَل التّبشيرُ بالإنجيل بُعدًا أوسَع، بحيث إنّ تلك العبارة دَلّت على الكنيسة جمعاء. وفيما نتأمّل في أنّ هذا الحدَثَ الخلاصيَّ الصّائر على ضفاف نهر الدنييبّر يعود إلى العهد الّذي لم تكُنْ فيه كنيسةُ الشّرق وكنيسةُ الغرب منقسِمَتَين، نفهَم بوضوحٍ أنّ الأفُقَ الّذي يجب علينا أن نبحث فيه عن ملء الشّركة، هو أُفقُ الوحدة في تنوّعٍ شرعيّ. وهذا ما أَكدّتُه بحزْمٍ في الرّسالة الحبْريّة **رسولا الصّقالبة**[٨٥] المُكرّسة للقدّيسَيْن كيرلّس وميتوديوس، وفي الرّسالة **اِذهبوا إلى العالَم**[٨٦] الرّسوليّة الّتي وُجِّهَت إلى مؤمني الكنيسة الكاثوليكيّة في أثناء الاحتفال باليوبيل الألفيّ لمعموديّة الرّوس بكييف.

(كنائسُ شقيقة)

٥٥– يُذكّر القرار المَجمعيّ «الحركة المسكونيّة»، في رؤيته التّاريخيّة، بالاتّحاد الّذي كان سائدًا، بالرّغم من كلّ شيء، خلال الألف الأوّل، والّذي يُمكن أن يكون، إلى حدٍّ ما، مثالًا يُحتذى: «يَطيبُ للمَجمع أن يُذكّرَ الجميع، فيما يُذكّرُ به من أحداثٍ هامّة، بأنَّ في الشّرق عدّةَ كنائسَ خاصّةٍ أو محلّيّةٍ، في طَليعتِها الكنائسُ البطريركيّة الّتي يَفخَرُ بعضُها بأنّ الرّسُلَ أنفُسَهم قد أنشأوها»[٨٧]. بدأت مسيرةُ الكنيسة في أورشليم، يوم العنصرة. وتمحور تطوّرُها الأوّل في عالم ذاك الزّمان حول

---

[٨٥] أُنْظُرْ: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٧٧، ١٩٨٥، ص ٧٧٩–٨١٣.

[٨٦] أُنْظُرْ: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٨٠، ١٩٨٨، ص ٩٣٥–٩٥٦؛ الرّسالة عطيّة المعموديّة العظيمة (١٤/٢/١٩٨٨) المرجع نفسه، ص ٩٨٨–٩٩٧.

[٨٧] أُنْظُرْ: «الحركة المسكونيّة»، رقم ١٤.

بطرس والأحدَ عشر (أع ٢، ١٤). وأخذت بِنى الكنيسة في الشّرق وفي الغرب تتألّف انطلاقًا من هذا التّراث الرّسوليّ. وكان يؤمّن وحدة الكنيسة في حدود الألف الأوّل، وفي تلك البِنى نفسها الأساقفةُ، خلفاء الرّسل، بالشّركة مع أسقف روما. وإذا ما حاولنا اليوم، في ختام الألف الثّاني، إعادة تلك الشّركة، فعلينا أن نستلهم تلك الوحدة كما كانت مبنيّة.

ويُبرز القرارُ حول الحركة المسكونيّة وجهًا آخر مُميّزًا كانت جميع الكنائس الخاصّة، بفضله، ثابتةٌ في الوحدة، أعني «الاهتمام الخاصّ بالحِفاظ، في شَركة الإيمان والمحبّة، على العَلاقاتِ الأخويّةِ الّتي يجبُ أن توجَدَ بين الكنائس المحلّيّة كما توجَدُ بين الكنائس الشّقيقة»[٨٨].

٥٦- بعد المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني، وارتباطًا بهذا التّقليد، أخذت تسود عادةُ إطلاق تسمية «الكنائس الشّقيقة» على الكنائس الخاصّة أو المحلّيّة المجتمعة حول أسقفها. وفيما بعد، جاء إلغاء الحرومات المتبادَلة ليُزيل عائقًا أليمًا على مستوًى قانونيّ ونفسانيّ، ويُشكّل خطوة بالغة الأهمّيّة على الطّريق نحو ملء الشّركة.

إنّ بِنى الوحدة الّتي كانت قائمة قبل الانشقاق تُشكّل تُراثًا من الاختبارات يُوجّه مسيرتنا نحو العودة إلى ملء الشّركة. إبّان الألف الثّاني، لم يَكُفّ الرّبُّ بالطّبع عن مَنْحِ كنيسته ثمارَ نعمةٍ ونموٍّ غزيرة. لكن التّباعد المتبادَل التّدريجيّ بين كنائس الغرب والشّرق منعَها، ويا للأسف! من تبادل ثروات مواهبها وتعاونها. فمن اللّائق أن يُبذل جهدٌ كبيرٌ، بنعمته تعالى، لإعادة ملءِ الشّركة بين الكنائس، تفيض خيراتٍ على

[٨٨] المرجع نفسه.

كنيسة المسيح. يتطلّب هذا الجهد إرادتنا الصّالحة كلّها وصلاةً متواضعة وتعاونًا مثابرًا لا يثنيه شيء. يحثّنا القدّيس بولس قائلًا: «ليَحمِل بعضُكم أثقال بعض» (غلا ٦، ٢). فكم يعنينا هذا التّحريض، وكم هو واقعيّ! ويجب أن تكون حاضرةً على الدّوام في مسيرتنا تلك التّسمية التّقليديّة: «كنائس شقيقة».

٥٧– ومثلما تمنّى ذلك البابا بولس السّادس، إنّ هدفنا الثّابت هو أن نستعيد معًا الوحدة الكاملة في التّنوُّع الشّرعيّ: «إنّ ما رآه الرّسل وسمعوه وبشّروا به، أعطانا الله أن نتقبّله بإيمان. وبالمعموديّة نحن واحدٌ في المسيح يسوع» (غلا ٣، ٢٨). وبمقتضى الخلافة الرّسوليّة، يجمعنا الكهنوت والإفخارستيّا بشكلٍ أوثق. وإذ نشترك في عطايا الله لكنيسته، فإنّا نشترك مع الآب بالابن في الرّوح القدس. إنّ سرّ الحبّ الإلهيّ هذا يتمّ في كلّ كنيسة محلِّيَّة. أوَليس في هذا علّة العبارة التّقليديّة الرّائعة الّتي كانت الكنائس المحلِّيَّة بموجبها تحبّ أن يُسمّى بعضها بعضًا كنائس شقيقة؟ (راجِعْ: «الحركة المسكونيّة»، رقم ١٤)

حياة الكنيسة الشّقيقة هذه قد حَيِيناها نحن طوال قرون، محتفلين معًا بالمجامع المسكونيّة الّتي دافعت عن وديعة الإيمان ضدّ كلّ تزوير. والآن، بعد حقبة طويلة من الانقسام وسوء التّفاهم المتبادل، يُعطينا الرَّبّ أن نكتشف ذواتنا كنائس شقيقةَ، بالرّغم من العوائق الّتي انتصبت إذّاك بيننا»[٨٩]. وإذا ما كنّا اليوم، عند عتبة الألف

[٨٩] البراءة البابويّة، **في مطلع سنة الإيمان**، (٢٥ تمّوز ١٩٦٧). **سفر المحبّة**، مرجع سابق ورد في الحاشية ٨٤، ص ١٧٦–١٧٧.

الثّالث، نسعى إلى إعادة ملء الشّركة، فعلينا أن نتوق إلى وضع هذه الحقيقة موضع التّنفيذ، وإليها نعود.

الرّوابط مع هذا التّقليد المجيد خصبة للكنيسة. «إنّ كنائس الشّرق تملكُ منذ البدءِ كنزًا ثريًّا استمدّت منه كنيسةُ الغرب الكثير من العناصِر في اللّيترجيّا والتّقليد الرّوحيّ والقانون»[٩٠].

ويشمل هذا «الكنز» أيضًا «كنوزَ تلك التّقاليدِ الرّوحيّةِ الّتي تُعبّرُ عنها الحياةُ الرّهبانيّةُ بوجهٍ خاصّ. فهناك، منذُ أيّامِ الآباء القدّيسين المجيدةِ، ازدهر التّصوّف الرّهبانيُّ الّذي انتشرَ من بعدُ في الغرب»[٩١]. وكما أُتيح لي أن أشير إلى ذلك حديثًا في الرّسالة **نور الشّرق** الرّسوليّة، فإنّ الكنائس الشّرقيّة قد عاشت بسخاء عظيم الالتزام الّذي تُعبّر عنه الحياة الرّهبانيّة، «بدءًا بالتّبشير الّذي يُعَدّ أَجَلَّ خدمة يُمكن أن يُقدّمها مسيحيٌّ لأخيه، حتّى يطال أيضًا أنواعًا أخرى كثيرة من الخدمة الرّوحيّة والمادِّيَّة. ويُمكن القول إنّ الحياة الرّهبانيّة، في القديم — وكذلك، مرارًا عديدة، خلال العصور اللّاحقة — كانت الأداة الفضلى لتبشير الشّعوب»[٩٢].

ولا يكتفي المَجمع بإبراز كلّ ما يجعل كنائسَ الشّرق والغرب متشابهة. فهو لا يتردّد، طبقًا للحقيقة التّاريخيّة، في أنّ ما يؤكّد ما يأتي: «ليس بالعَجبِ أنَّ بعضَ نَواحي السّرِّ الموحى به قد أدركَها الواحدُ وعبَّرَ عنها أفضلَ من الآخرِ، بحيثُ يجبُ

---

[٩٠] أُنْظُرْ: «الحركة المسكونيّة»، رقم ١٤.

[٩١] أُنْظُرْ: المرجع نفسه، رقم ١٥.

[٩٢] أُنْظُرْ: **نور الشّرق**، رقم ١٤؛ **الأوسرفاتوري رومانو**، في ٢–٣ أيّار ١٩٩٦، ص ٣. ظهرت هذه الرّسالة الحبريّة في منشورات اللّجنة الأسقفيّة لوسائل الإعلام، جلّ الدّيب (لبنان)، ١٩٩٥.

في الغالبِ اعتبارُ هذه الصّيغِ اللّاهوتيّةِ المتنوّعةِ متكاملةً أكثرَ منها مُتعارِضةً»[٩٣]؛ إنّ تبادل المواهب بين الكنائس، في تكاملها، يُخصب الشّركة.

٥٨- انطلاقًا من تأكيد شركة الإيمان القائمة فعلًا، استخلص المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني نتائجَ راعويّةً صالحةً لحياة المؤمنين العمليّة ولتعزيز روح الوحدة. وبفضل روابط الأسرار الوثيقة القائمة بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنائس الأرثوذكسيّة، أعلن القرار المَجمعيّ «الكنائس الشّرقيّة» أنّ «الخبرةَ الرّاعويّة تدلّ، فيما يتعلّقُ بالإخوة الشّرقيّين، أنّ هناك من الظّروفِ والأحوالِ الشّخصيّة المختلفة ما ليس به إساءة إلى وحدة الكنيسة، وليس فيه موضعٌ للأخطارِ الّتي يجبُ اجتنابُها، بل يُعَدُّ، بالنّظرِ إلى ضرورةِ الخلاص وخيرِ النّفوس الرّوحيّ، حاجةً ماسّةً. لذلك، رأتِ الكنيسةُ الكاثوليكيّة أن تُراعي ظروفَ الزّمان والمكان وأحوالَ الأشخاص، فاعتمدتْ في الغالبِ، ولا تزالُ، طريقةً في التّعاملِ أقلَّ تشدّدًا، فتوفّرُ للجميعِ وسائلَ الخلاص، وتقدّم لهم شهادةً رائعةً للمحبّة المسيحيّة، وذلك بالاشتراكِ في الأسرار وفي سائرِ الرّتبِ والأعمال المقدّسة»[٩٤].

[٩٣] أُنْظُرْ: «الحركة المسكونيّة»، رقم ١٧.

[٩٤] أُنْظُرْ: الكنائس الشّرقيّة، رقم ٢٦.

استنادًا إلى الاختبار الّذي تمّ خلال سنوات ما بعد المَجمع، عادت مجموعتا الحقّ القانونيّ لتتبنّى هذا التّوجّه اللّاهوتيّ والرّاعويّ[٩٥]، واستفاض في شرحها، من وجهة النّظر الرّاعوي، **الدّليل لتطبيق مبادئ الحركة المسكونيّة وقوانينها**[٩٦].

من الواجب، في هذا الموضوع البالغ الأهمِّيَّة والدِّقَّة، أن يُعلّم الرّعاة مؤمنيهم باعتناء، كي يعرفوا بوضوح الأسباب الدّقيقة لمثل تلك المشاركات في الطّقس اللّيترجيّ، وكذلك النّظمَ المختلفة المرعيّة الإجراء في مثل تلك الأحوال.

ويجب ألّا يغيب البتّة عن النّظر البُعدُ الكنسيّ الكامنُ في المشاركة في الأسرار، وبالأخصّ المشاركة في الإفخارستيّا المقدّسة.

(تقدُّم الحوار)

٥٩– عَمِلَت اللّجنة المشتركة الدّوليَّة، للحوار اللّاهوتيّ بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة الأرثوذكسيّة، منذ إنشائها، سنة ١٩٧٩، بكلّ اندفاع، موجّهة تدريجيًّا بحثها نحو تطلّعات اختيرت، بالاتّفاق التّامّ، بغية إعداد ملء الشّركة بين الكنيستَيْن. ولَسوف تجد هذه الشّركة المبنيّة على وحدة الإيمان، في تواصل الاختبار وتقليد الكنيسة المقدّسة، تعبيرَها الكامل في الاحتفال المشترك بالإفخارستيّا المقدّسة. وإذ اتّسمت بروحٍ بنّاء وارتكزت على نقاط التّلاقي، استطاعت اللّجنة المشتركة أن تتقدّم تقدُّمًا جوهريًّا. وكما أُتيح لي أن أُعلن ذلك مع أخي الجليل، قداسة البطريرك المسكونيّ، ديمتريوس الأوّل، توصّلت تلك اللّجنةُ إلى أن تُعبِّر «عمّا يُمكّن الكنيسة

---

[٩٥] أُنْظُرْ: مجموعة الحقّ القانونيّ، ق ٨٤٤، ب ٢ و٣، **مجموعة قوانين الكنائس الشّرقيّة**، ق ٦٧١، ب ٢ و٣.

[٩٦] أُنْظُرْ: **الدّليل لتطبيق مبادئ الحركة المسكونيّة وقوانينها**، الأرقام ١٢٢–١٢٨. أُنْظُرْ أيضًا: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ١٩٩٣، ص ١٠٨٦–١٠٨٨.

الكاثوليكيّة والكنيسة الأرثوذكسيّة من أن تقرآ معًا كإيمان مشترك في سرّ الكنيسة والرّابط بين الإيمان والأسرار»[٩٧]. ومن ثمّ استطاعت اللّجنة أن ترى وتؤكّد أنّ «الخلافة الرّسوليّة، في كنائسنا، تُعَدّ أساسيّة لتقديس شعب الله ووحدته»[٩٨]. إنّ في ذلك لَمعالمَ مرجعيّةٍ هامّةٍ لمتابعة الحوار. ولدينا أكثرُ من ذلك: إنّ تلك التّأكيدات المشتركة تُشكّل ركيزةً تُؤهّل الكاثوليك والأرثوذكس لأن يعطوا منذ الآن، في عصرنا، شهادةً مشتركةً أمينةً ومتناسقةً لإعلان اسم الله وتمجيده.

٦٠- ومنذ عهدٍ قريب، قطعت اللّجنة المشتركة الدّوليّة شوطًا هامًّا بشأن القضيّة البالغة الحساسيّة، ألا وهي الأسلوبُ الواجب اتّباعُه للبحث عن ملء الشّركة بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة الأرثوذكسيّة، قضيّةٍ طالما كانت حَجَر عثرةٍ في العلاقات بين الكاثوليك والأرثوذكس. فأرست اللّجنةُ قواعد عقائديّة لحلٍّ إيجابيّ للمُعضِلة، ترتكز على عقيدة الكنيستَيْن الشّقيقتَيْن. وفي هذا الإطار أيضًا، تبيّن بجلاء أنّ الأسلوب الواجب اتّباعُه لبلوغ ملء الشّركة هو حوارُ الحقيقة يُغذّيه ويُسنده حوارُ المحبّة.

إنّ حقّ الكنائس الشّرقيّة الكاثوليكيّة المُعترَف به في أن تنظّم نفسها وتقوم برسالتها، وكذلك التزامها الفعليّ في حوار المحبّة والحوار اللّاهوتيّ، سيوفّران، ليس فقط احترامًا أخويًّا حقيقيًّا بين الأرثوذكس والكاثوليك العائشين في منطقة واحدة،

---

[٩٧] تصريح الحبر الأعظم يوحنّا بولس الثّاني والبطريرك المسكونيّ ديمتريوس الأوّل (٧ كانون الأوّل ١٩٨٧)، أُنْظُرْ أيضًا: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٨٠، ١٩٨٨، ص ٢٥٣.

[٩٨] اللّجنة الدّوليّة المشتركة للحوار اللّاهوتيّ بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة الأرثوذكسيّة. وثيقة «سرّ الكهنوت في بنية أسرار الكنيسة، وبخاصّة أهمِيَّة الخلافة الرّسوليّة لتقديس شعب الله ووحدته» (٢٦ حزيران ١٩٨٨) عدد ١: خدمة المعلومات، ٦٨، ١٩٨٨، ص ١٩٥.

بل أيضًا عملًا مشتركًا في البحث عن الوحدة[٩٩]. ولقد تحقّق تقدّمٌ في ذلك، لذا علينا متابعةُ العمل. ومنذ الآن، يُلاحظ أنّ الأذهان قد هدأت، ممّا يجعلُ البحثَ أكثر خصبًا.

أمّا بشأن الكنائس الشّرقيّة الّتي هي في شركة مع الكنيسة الكاثوليكيّة، فلقد أعلن المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني القرار الآتي: «وفيما المَجمع يحمدُ الله على أنّ كثيرين من الشّرقيّين، أبناء الكنيسة الكاثوليكيّة [...] هُمْ على الشّركة التّامّةِ مع إخوتهم الّذين يحفظونَ التّقليدَ الغربيّ، يُعلن أنَّ جميعَ هذا التّراثِ الرّوحيّ واللّيترجيّ، القانونيّ واللّاهوتيّ، في مُختلفِ تَقاليده، هو جزءٌ لا يتجزّأُ من جامعيّة الكنيسةِ ورسوليّتِها»[١٠٠]. ووفقًا لروح القرار في الحركة المسكونيّة، إنّ الكنائس الشّرقيّة الكاثوليكيّة سوف تعرف أكيدًا أن تُشارك إيجابيًّا في حوار المحبّة والحوار اللّاهوتيّ على الصّعيد المحلّيّ كما على الصّعيد العامّ، فتُسهم بذلك في التّفاهم المتبادل وفي البحث الحيويّ عن ملء الشّركة[١٠١].

٦١– وفي هذا البُعد، لا تريد الكنيسة الكاثوليكيّة غيرَ ملء الشّركة مع الشّرق والغرب وتستوحي لذلك اختيار الألف الأوّل للمسيحيّة. ففي خلال تلك الفترة، تَبيّن، في الواقع، أنّ «التّوسُّع في العديد من اختبارات الحياة الكنسيّة لم يكن ليمنع المسيحيّين، من خلال علاقات متبادلة، من استمرار اليقين بأن يشعروا كأنّهم في

---

[٩٩] أُنْظُرْ: يوحنّا بولس الثّاني، رسالة إلى أساقفة القارّة الأوروبّيّة عن العلاقات بين الكاثوليك والأرثوذكس في الوضع الجديد في أوروبّا الوسطى والشّرقيّة (٣١ أيّار ١٩٩١)، رقم ٦؛ أُنْظُرْ أيضًا: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٨٤، ١٩٩٢، ص ١٦٨.

[١٠٠] أُنْظُرْ: «الحركة المسكونيّة»، رقم ١٧.

[١٠١] أُنْظُرْ: الرّسالة **نور الشّرق**، مرجع سابق في الحاشية ٩٢، ص ٥.

كنيستهم الخاصّة، وهم في أيّة كنيسة أخرى، لأنّه من جميع الكنائس كانت ترتفع، في تنوُّع عجيبٍ للُّغات واللّهجات، آيات التّسبيح للآب الواحد، والابن، في الرّوح القدس؛ جميعُها كانت متّحدة للاحتفال بالإفخارستيّا، قلب الجماعة ومثالها، ليس فقط فيما يخصّ الرّوحانيّة أو الحياة الخُلُقيّة، بل أيضًا لبِنية الكنيسة نفسها، في تنوُّع المناصب والخدمات، تحت سُلطة الأسقف، خليفة الرّسل. **إنّ المجامع الأولى تُعَدّ شهادةً بليغة للوحدة القائمة في التّنوُّع**»[١٠٢].

كيف نَستعيد الوحدة بعد زهاء ألف سنة؟ تلك هي المهمّة الكبرى الّتي أُوكِل إلى الكنيسة الكاثوليكيّة إنجازها، والّتي أُنيطت أيضًا بالكنيسة الأرثوذكسيّة. انطلاقًا من هنا، نَفْقَهُ كلّ واقعيّة الحوار الّذي يسنده نورُ الرّوح القدس وقدرتُه.

(العلاقات مع الكنائس الشّرقيّة القديمة)

٦٢– منذ المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني، وتحت أشكالٍ مختلفة وبتواتر مُتباين، استأنفت الكنيسة الكاثوليكيّة العلاقات الأخويّة مع الكنائس الشّرقيّة القديمة الّتي عارضت تعابير مَجمعَي أفسُس وخلقيدونية العقائديّة. أوفدت جميع هذه الكنائس مراقبين مندوبين إلى المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني؛ وشرّفنا بطاركتها بزيارتنا. استطاع أسقف روما أن يتحدّث إليهم كإخوةٍ يُسعدُهم أن يلتقوا بفرح، بعد فترة طويلة من الفراق.

إنّ استعادة العلاقات الأخويّة مع الكنائس الشّرقيّة القديمة، الشّاهد للإيمان المسيحيّ في ظروفٍ غالبًا ما كانت عدائيّة ومأساويّة، هي علامة حسِّيَّة على أنّ

---

[١٠٢] المرجع السّابق، رقم ١٨، ص ٤.

المسيح يجمعنا بالرّغم من الحواجز التّاريخيّة والسّياسيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة. ولقد استطعنا، بالتّحديد، فيما يخصّ القضيّة المسيحانيّة، أن نُعلن مع بعض بطاركة هذه الكنائس إيماننا المشترك بيسوع المسيح، الإله الحقّ والإنسان الحقّ.

إنّ البابا بولس السّادس، السّعيد الذّكر، كان قد وَقَّعَ بيانات مطابقة لهذا التّوجُّه مع قداسة شنوده الثّالث، بابا الكرازة المرقسيّة والبطريرك القبطيّ الأرثوذكسيّ[١٠٣]، ومع بطريرك أنطاكية للسّريان الأرثوذكس، قداسة يعقوب الثّالث[١٠٤]. واستطعتُ أنا بنفسي أن أُثبِّت هذا الاتّفاق المسيحانيّ ونستخلص منه نتائج لمتابعة الحوار مع البابا شنودة[١٠٥]، وللتّعاون الرّاعوي مع بطريرك أنطاكية السّريانيّ مار أغناطيوس زَكّا الأوّل عيواص[١٠٦].

ومع بطريرك كنيسة إثيوبيا الجليل، أبونا بولس، الّذي زارني بروما في الحادي والعشرين من حزيران ١٩٩٣، أشرنا إلى الشّركة العميقة القائمة بين كنيستَيْنا: «إنّنا

---

[١٠٣] أُنْظُرْ: البيان المشترك للحبر الأعظم البابا بولس السّادس وقداسة شنودة الثّالث، بابا الكرازة المرقسيّة وبطريرك الإسكندريّة (١٠ أيّار، ١٩٧٣). أُنْظُرْ أيضًا، مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٦٥، ١٩٧١، ص ٢٩٩-٣٠١.

[١٠٤] أُنْظُرْ: البيان المشترك للحبر الأعظم البابا بولس السّادس وصاحب الغبطة مار إغناطيوس يعقوب الثّالث، بطريرك كنيسة انطاكية وسائر المشرق للسّريان (٢٧ تشرين الأوّل ١٩٧١)؛ أُنْظُرْ أيضًا، مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٦٥، ١٩٧١، ص ٨١٤-٨١٥.

[١٠٥] أُنْظُرْ: خطاب إلى مندوبي الكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة (٢ حزيران ١٩٧٩)؛ أُنْظُرْ أيضًا، مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٧١، ١٩٧٩، ص ١٠٠٠-١٠٠١.

[١٠٦] أُنْظُرْ: البيان المشترك للبابا يوحنّا بولس الثّاني وقداسة موران مار إغناطيوس زَكّا الأوّل عيواص، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق للسّريان الأرثوذكس (٢٣ حزيران ١٩٨٤) Insegnamenti VII, 1 (1984), p. 1902-1906.

نُشارك في الإيمان الواحد الموروث من الرّسل، وفي الأسرار نفسها، وفي الخدمة نفسها المتأصّلة في الخلافة الرّسوليّة [...]. لذا يُمكننا أن نؤكّد اليوم أنّنا نؤمن الإيمان الواحد بيسوع المسيح، بينما، لفترةٍ طويلة، كان ذلك الإيمان سَبَبَ خلافٍ بيننا»[١٠٧].

ومنذ عهدٍ قريب، منحني الرَّبّ الفرحة العظيمة بأن أوقّع بيانًا مسيحانيًّا مشتركًا مع بطريرك المشرق للأشوريّين، قداسة ما دينخا الرّابع الّذي رَغِبَ لذلك في أن يزورني بروما، في شهر تشرين الثّاني ١٩٩٤. ومع أخذنا بعين الاعتبار الاختلافات في التّعابير اللّاهوتيّة، استطعنا هكذا أن نُعلن معًا إيماننا الحقيقيّ بالمسيح[١٠٨]. وتعبيرًا عن الفرح الّذي يغمرني أردّد كلمات العذراء نفسها: «تُعظّم نفسي الرَّبّ» (لو ١، ٤٦).

٦٣- بالنّسبة إلى المناظرات التّقليديّة حول المسيحانيّة، سمحت الاتّصالات المسكونيّة بإجراء توضيحات جوهريّة، ممّا ساعدنا على أن نُعلن معًا إيماننا المشترك. مرّة أخرى، نُلاحظ أنّ كَسبًا بهذه الأهمِيَّة هو بالتّأكيد ثمرةُ البحث اللّاهوتيّ والحوار الأخويّ. وأكثرُ من ذلك: إنّنا لنجد فيه تشجيعًا، فهو يُظهر لنا أن نرجوَ بصوابٍ أن نجد معًا حلًّا للقضايا الأخرى المتنازع فيها.

(الحوار مع الكنائس والجماعات الكنسيّة الأخرى في الغرب)

---

[١٠٧] خطاب موجّه إلى قداسة أبونا بولس، بطريرك الكنيسة الأرثوذكسيّة الإثيوبيّة (١١ حزيران ١٩٩٣)؛ **الأوسرفاتوري رومانو**، ١١ حزيران ١٩٩٣، ص ٤.

[١٠٨] أُنْظُرْ: البيان المسيحانيّ المشترك بين الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة المشرق الأشوريّة: **الأوسرفاتوري رومانو**، ١٢ تشرين الثّاني ١٩٩٤، ص ١.

٦٤– في الإطار الواسع لاستعادة الوحدة بين جميع المسيحيّين، يأخذ القرار المَجمعيُّ في الحركة المسكونيّة بعين الاعتبار أيضًا العلاقات مع الكنائس والجماعات الكنسيّة في الغرب. رغبةً منه في إحلال جَوٍّ من الأخوّة المسيحيّة والحوار، صاغ المَجمع تعليماته في إطار اعتبارَين بمفهوم عامّ، الواحد ذو طابع تاريخيّ ونفسانيّ، والثّاني ذو طابعٍ لاهوتيّ وعقائديّ. فمن جهة، أشارت الوثيقة إلى أنّ «الكنائس والجماعاتِ الكنائسيّة الّتي انفصلت عن الكُرسيّ الرّسوليّ الرّومانيّ إبّانَ الأزمةِ الكُبرى الّتي بدأت في الغرب، في غُروبِ العصرِ الوسيط أو فيما بعدُ، تظلُّ مُتَّحدةً بالكنيسة الكاثوليكيّة بأواصِرِ قُربى خاصّة، أو بعلاقاتٍ ناجمةٍ عن الأمدِ المَديدِ الّذي سَلخَه الشّعبُ المسيحيُّ في الشّركة الكنسيّة في غضونِ القرونِ السّالفة»[١٠٩]. وعلاوة على ذلك، يُلاحظ بالواقعيّة نفسها: «لا بُدَّ من الاعترافِ، بأنَّ بين هذه الكنائس والجماعاتِ من جهةٍ، والكنيسةِ الكاثوليكيّة من الجهة الأخرى، فُروقًا كبيرة جدًّا، ليس من الوجهة التّاريخيّة والاجتماعيّة والنّفسيّة والثّقافيّة فقط، بل بخاصّةٍ من وجهة تَفسيرِ الحقيقةِ الموحى بها»[١١٠].

٦٥– إنّ الجذور مشتركة، وبالرّغم من الاختلافات، هي عناصرُ شبيهةٌ وَجَّهت في الغرب تطوّرَ الكنيسة الكاثوليكيّة وتطوّرَ كنائس وجماعاتٍ منبثقةٍ عن حركة

---

[١٠٩] أُنْظُرْ: «الحركة المسكونيّة»، رقم ١٩.

[١١٠] المرجع نفسه.

الإصلاح. فهي تملك إذًا طابعًا غربيًّا مشتركًا. إنّ «الاختلافات» الّتي أشرنا إليها سابقًا، بالرّغم من أهمِّيَّتها، لا تنفي إذًا التّأثيرات المتبادلة والتّكامل.

أخذت الحركة المسكونيّة انطلاقتها في كنائس الإصلاح وجماعاته. وفي الوقت نفسه، منذ كانون الثّاني ١٩٢٠، تمنّت البطريركيّة المسكونيّة أن يُنظّم تعاونٌ بين المذاهب المسيحيّة. يُظهر هذا الحدثُ أنّ تلاقي البعد الثّقافي ليس جازمًا. فالمهمّ، بالعكس، هو قضيّةُ الإيمان. إنّ صلاة المسيح، إلهنا الوحيد ومخلّصنا ومعلّمنا، تُناشد الجميع بالطّريقة نفسها، في الشّرق كما في الغرب. وهي تُصبح مبدًا مُلزِمًا بالتّخلّي عن انقساماتنا لنبحث عن الوحدة ونجدها، تحت تأثيرٍ من اختبارات الانقسام المرّة.

٦٦- لا ينوي المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني «وصف» المسيحيّة اللّاحقة بالإصلاح، لأنّ «تلك الكنائس والجماعات الكنسيّة [...] تَتَميَّزُ تميُّزًا بالغًا، ليس عنّا فقط، بل فيما بينها أيضًا»، وذلك «من جرّاء تبايُنها في الأصل والمُعتقَدِ والحياةِ الرّوحيّة»[١١١]. فضلًا عن ذلك، يُلاحظ القرار المَجمعيُّ «أنّ الحركةَ المسكونيّة ورغبةَ السّلامِ مع الكنيسة الكاثوليكيّة لم تَسُودا في كُلِّ مَكان»[١١٢]. بيد أنّ المَجمع، بالرّغم من ذلك، يَعرض الحوار.

من ثمّ، يسعى القرار المَجمعيّ إلى «الإشارةَ إلى بعضِ النّقاط الّتي يُمكنُ، بل يجبُ، أن تُستَخدمَ أساسًا ونقطةَ انطلاقٍ لهذا الحوار»[١١٣]. «نقصدُ بوجهٍ خاصٍّ

---

[١١١] المرجع نفسه، رقم ١٩.

[١١٢] المرجع نفسه.

[١١٣] المرجع نفسه.

أولئك المسيحيّين الّذي يعترفُون جهرًا بيسوعَ المسيح إلهًا وربًّا، وأنّه الوسيط الوحيد بين الله والنّاس لأجلِ مجدِ الله الواحد، الآب والابن والرّوح القدس»[١١٤].

هؤلاء الإخوة يُظهرون كثيرًا من الحبّ والإجلال للكتاب المقدّس: «وفيما يبتهلون إلى الرّوح القدس، يَلتمِسون اللهَ في الكتاب المقدّس بالذّات، على أنّه هو الّذي يُكلِّمهم بالمسيح الّذي تَنبّأت عنه الأنبياء، والّذي هو كلمةُ الله المتجسّدِ من أجلنا. ويتأمَّلُون فيه في حياةِ المسيح، وفي تَعاليمِ المُعلِّم الإلهيّ وأعمالِه الّتي عَمِلَها لأجلِ خلاصِ النّاس، ولا سيَّما في سِرِّ موتِهِ وقيامتِه. [...] ويؤكّدون للأسفارِ المقدّسة سُلطانًا إلهيًّا»[١١٥].

ولكن، في الوقت عينه، «فإنَّ رأيهم يخالفُ رأينا [...] في شأنِ العَلاقةِ القائمةِ بين الكتاب المقدّس والكنيسة. ففي الكنيسةِ، بحسب الإيمان الكاثوليكيّ، تحتلُّ السُّلطة المعلِّمةُ الرّسميّةُ، في تفسيرِ كلمةِ الله المكتوبة، والوعظِ بها، محلًّا خاصًّا»[١١٦].

«بيدَ أنّ الكلام الإلهيّ هو، في الحِوار بالذّات، أداةٌ ممتازةٌ بيدِ الله القديرِ للحصولِ على هذه الوَحدة الّتي يدعو المخلّصُ جميعَ النّاس إليها»[١١٧].

فضلًا عن ذلك، إنّ سرّ المعموديّة المشترك بيننا يُمثّل «الرّباط السّرّيّ للوَحدةِ القائمةِ بين الّذين وُلدوا بها ثانيةً»[١١٨]. عديدةٌ هي وهامّةٌ التزامات المعموديّة المشتركة،

---

[١١٤] المرجع نفسه، رقم ٢٠.

[١١٥] المرجع نفسه، رقم ٢١.

[١١٦] المرجع نفسه.

[١١٧] المرجع نفسه.

[١١٨] المرجع نفسه، رقم ٢٢.

اللّاهوتيّة والرّاعويّة والمسكونيّة. ومع أنّ هذا السّرَّ لا يُشكّل بذاته إلّا البداية ونقطة الانطلاق، فإنّه يهدف «إلى الشّهادة الكاملة للإيمان، والولوج الكامل في تدبير الخلاص، كما أرادَهُ المسيح، والانتظام الكامل أخيرًا في الشّركة الإفخارستيّة»[١١٩].

٦٧– وفي فترة الإصلاح، برزت اختلافاتٌ عقائديّة وتاريخيّة بشأن الكنيسة والأسرار والخدمة الكهنوتيّة. فالمَجمع يطلب إذًا «أن يكون المُعتقدُ حولَ عشاءِ الرّبِّ، وسائرِ الأسرار، والعِباداتِ، وخِدَمِ الكنيسة، مَوضعَ الحِوار»[١٢٠].

يُشير القرار المَجمعيّ «الحركة المسكونيّة» إلى أنّ الجماعات المنبثقة من الإصلاح «ليست معنا على الوَحدةِ التّامّة النّاجمةِ عن المعموديّة» ويُلاحظ أنّها «لم تحتفِظ للسرِّ الإفخارستيّ بفحواه الخاصّ الكامِل، خصوصًا بسبب غيابِ سرِّ الرّتَبِ الكهنوتيّة عندها. بيد أنّها، باحتفالِها في العشاء المقدّس بذكرى مَوتِ الرّبِّ وقيامتِه، تَشهدُ بأنَّ الحياةَ تقومُ على الاتّحادِ بالمسيح، وتنتظرُ عودتَه المَجيدة»[١٢١].

٦٨– لا يغفل القرار المَجمعيّ الحياة الرّوحيّة والنّتائج الأخلاقيّة. «إنّ حياةَ هؤلاء الإخوة المسيحيّة تتغذَّى من الإيمان بالمسيح؛ وتُفيدُ من نِعمةِ المعموديّةِ والتّبشيرِ بكلمةِ الله؛ وتتجلَّى في الصّلاة الفرديّة، والتّأمُّلِ الكتابيّ، وحياةِ الأسرةِ المسيحيّة،

---

[١١٩] المرجع نفسه.

[١٢٠] المرجع نفسه، رقم ٢٢؛ أُنْظُرْ أيضًا، الرّقم ٢٠.

[١٢١] المرجع نفسه، رقم ٢٢.

وعبادة الجماعةِ ملتئمةً لتسبيحِ الله. زدْ على ذلك أنّ العبادةَ فيها تتضمَّنُ عناصر عديدة ذاتَ شأنٍ من اللّيترجيّا القديمة العامّة»[١٢٢].

علاوةً على ذلك، لا تكتفي الوثيقة المَجمعيّة بسَرْد تلك المظاهر الرّوحيّة والأخلاقيّة والثّقافيّة، بل تُحيي أيضًا، عند هؤلاء الإخوة، الشّعورَ المرهَف بالعدل والمحبّة الصّادقة تجاه القريب؛ ولا تغربُ عن بالها أيضًا المبادراتُ الّتي يأخذونها لتحسين أوضاع الحياة في المجتمع ولنشر لواء السّلام. هذا كلّه يقومون به عن إرادة صادقةٍ في التّمسّك بكلام المسيح، مصدرًا للحياة المسيحيّة.

وهكذا يُبرز النّصّ إشكاليّة، على الصّعيد الخلقيّ والأخلاقيّ، تأخذ دومًا في عصرنا منحًى مُلِحًّا: «كثيرون من المسيحيّين لا يفهَمون الإنجيل كما يفهمُهُ الكاثوليك»[١٢٣]. في هذا المجال الواسع، تتوافر إمكاناتٌ كبيرةٌ للحوار بشأن مبادئ الإنجيل الأخلاقيّة وتطبيقها.

٦٩– لقد استُجيبت تمنّياتُ المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني ودعوتُه؛ فرأينا باب الحوار اللّاهوتيّ الثّنائيّ ينفتح، تدريجيًّا، بين مختلف الكنائس والجماعات المسيحيّة العالميّة في الغرب.

فضلًا عن ذلك، وللحوار المتعدّد الأطراف، أُخِذَت التّدابير، منذ سنة ١٩٦٤، لوضع خطّة إنشاء «فريق عمل مشترك» مع مجلس الكنائس العالميّ؛ ومنذ سنة

---

[١٢٢] المرجع نفسه، رقم ٢٣.

[١٢٣] المرجع نفسه.

١٩٦٨، جاء لاهوتيّون كاثوليك، وشاركوا كأعضاء كاملي العضويّة، في جلسات دائرة هذا المجلس اللّاهوتيّة، لجنة «الإيمان والنّظام».

كان الحوار وسيظلّ خصبًا وغنيًّا بالوعود. أمّا المواضيع الّتي اقترحها القرار المَجمعيّ مادّةً للحوار، فقد استؤنِفَت دراستها أو ستُستأنَف بعد فترة وجيزة. وفي مختلف الحوارات الثّنائيّة، تَمحور التّفكير الّذي جرى بغيرة تستحقّ مديح الجماعة المسكونيّة كلّها، حول عدّة قضايا متنازَع فيها كالمعموديّة والإفخارستيّا والخدمة الكهنوتيّة وأسراريّة الكنيسة وسلطتها والخلافة الرّسوليّة. فرُسِمت هكذا آفاقٌ للحلّ غيرُ متوقَّعة، وفي الوقت عينه، أُدرِكَت ضرورة معالجة بعض النّقاط بطريقةٍ أعمق.

٧٠– هذا البحث الصّعب والدّقيق الّذي يُعالج قضايا إيمان كلّ فردٍ واحترام ضميره رافقته وساندَته صلاة الكنيسة الكاثوليكيّة والكنائس والجماعات الكنسيّة الأخرى. إنّ الصّلاة لأجل الوحدة المتأصِّلة والمنتشرة في الجسم الكنسيّ، تدُلّ على أنّ أهمِيَّة القضيّة المسكونيّة لا تخفى على المسيحيّين. يتطلّب البحث عن الوحدة الكاملة نقاشًا في الإيمان بين المؤمنين الّذين ينتمون إلى الرَّبّ الواحد؛ لذلك فالصّلاة هي نورٌ يشعّ على الحقيقة الواجب تقبُّلها في كمالها.

لا يمكن حصرُ البحث عن الوحدة في ندوة من الأخصّائيّين، بل إنّه يعني كلّ مُعمّد، بفضل الصّلاة. فبإمكانهم جميعًا، بغضّ النّظر عن دورهم في الكنيسة، وعن تربيتهم الثّقافيّة، أن يُسهموا مساهمة فعّالة، بطريقة سرِّيَّة وعميقة.

(علاقات كنسيّة)

٧١– علينا أن نرفع الشّكر إلى العناية الإلهيّة، عن كلّ الأحداث الّتي تشهد للتّقدُّم في سبيل البحث عن الوحدة. فإلى جانب الحوار اللّاهوتيّ، نُشير بحقٍّ إلى مظاهر اللّقاء الأخرى، الصّلاة المشتركة والتّعاون العمليّ. ولقد أعطى بولس السّادس دَفْعًا كبيرًا لهذه المسيرة، بزيارته مركز مجلس الكنائس العالميّ بجينيف، في العاشر من حزيران ١٩٦٩، وبلقاءاته العديدة مع مُمثّلي الكنائس والجماعات الكنسيّة المختلفة. أسهمت تلك الاتّصالات، بفعاليّة، في تحسين التّعارُف المتبادَل وتنمية الأخوّة المسيحيّة. في أثناء حبريّته القصيرة العهد، أعرب البابا يوحنّا بولس الأوّل عن إرادته متابعة المسيرة[١٢٤]. ولقد أعطاني الرَّبّ أن أعمل في هذا الاتّجاه. فعلاوةً على لقاءاتٍ مسكونيّة هامّة بروما، كُرِّسَ قسمٌ عظيمٌ من زياراتي الرّاعويّة، بانتظام، للشّهادة من أجل وحدة المسيحيّين. يُبرزُ بعضٌ من أسفاري «أولويّةً» مسكونيّة، بالأخصّ في البلدان الّتي تُشكّل فيها الجماعات الكاثوليكيّة أقلّيّةً بالنّسبة إلى المذاهب المنبثقة من الإصلاح، أو في البلدان حيث تُشكّل تلك المذاهب جزءًا كبيرًا من المؤمنين بالمسيح.

٧٢– يُطبَّق هذا بالأخصّ في البلدان الأوروبّيَّة حيث نشأت الانقسامات، وفي أميركا الشّماليّة. في هذا الشّأن، من دون إنقاصِ قيمة أيٍّ من تلك الزّيارات، أريد أن أُنوّه بنوع خاصّ بالزّيارات الّتي قادتني، في القارّة الأوروبيّة، مرّتَيْن إلى ألمانيا، في تشرين الثّاني ١٩٨٠، وفي نيسان – أيّار ١٩٨٧؛ الزّيارة إلى المملكة المتّحدة (إنكلترا

---

[١٢٤] أُنْظُرْ:

Radiomessage Urbi et orbi (27 août 1978):

مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسولي» ٧٠ (١٩٧٨)، ص ٦٩٥–٦٩٦.

وإسكتلندا وبلاد الغال)، في أيّار – حزيران ١٩٨٢؛ إلى سويسرا، في حزيران ١٩٨٤؛ إلى البلدان الإسكندينافيّة والشّماليّة (فنلندا، السّويد والنّروج والدّانمارك وإيسلندا) الّتي قصدتُها في حزيران ١٩٨٩. التقيت العديد من الإخوة، في الفرح والاحترام المتبادَل والتّضامن المسيحيّ والصّلاة، وجميعُهم ملتزمون بالبحث عن الأمانة للإنجيل. فكان لي هذا الاطّلاع مصدر تشجيعٍ عظيمًا، إذ اختبرنا معًا حضور الرَّبّ فيما بيننا.

أودّ، بهذا الشّأن، أن أُذكّر بالموقف الّذي أملته المحبّة الأخويّة واتّسم بطابع إيمان واعٍ كلّ الوعي، عشته ببالغ التّأثُّر. أفكّر هنا بالاحتفالات الإفخارستيّة الّتي رأستُها في فنلندا وفي أسوج، خلال رحلتي إلى البلدان الشّماليّة والإسكندينافيّة. في فترة التّناوُل، تقدّم الأساقفة اللّوثريّون أمام المحتفل، مُريدين بهذا العمل المقرّر، معًا، أن يُعرِبوا عن رغبتهم في أن نتوصّل، متى يُمكننا ذلك، الكاثوليك واللّوثريّين، إلى تقاسم الإفخارستيّا نفسها. وإذ أرادوا نَيْلَ بركة المحتفِل، فبكلّ محبّة منحتهم البركة. وتكرّرت الحركة نفسُها، غنيّة بالمعنى، في روما، في أثناء القدّاس الإلهيّ الّذي رأستُه في ساحة فارنيز، بمناسبة الذّكرى المئويّة السّادسة لإعلان قداسة القدّيسة بريجيت، في السّادس من تشرين الأوّل ١٩٩١.

ولقد أُتيح لي أن أَختبَر عواطف مماثلة ما وراء المحيط، بكندا، في أيلول ١٩٨٤، وبالأخصّ في أيلول ١٩٨٧ في الولايات المتّحدة الأميركيّة حيث يُلمسُ انفتاحٌ مسكونيٌّ عظيم. هذا ما حَدَثَ مثلًا في أثناء اللّقاء المسكونيّ، في ١١ أيلول ١٩٨٧، بكولومبيا في مقاطعة كارولينا الجنوبيّة. من المهمّ، بحدّ ذاتها، أن تتمّ بانتظام مثلُ هذه

اللّقاءات بين الإخوة المنبثقين من الإصلاح والبابا. وإنّي أُقرّ لهم بالجميل لأنّهم استقبلوني بعظيم المَوَدّة، سواءٌ المسؤولون عن الجماعات المختلفة أو الجماعات في مُجملها. ومن هذا القبيل، أرى أنّ لاحتفال الكلمة المسكونيّ الّذي جرى في كولومبيا مغزى، وقد دار حول موضوع الأسرة.

٧٣– ومن أسباب الفرح العظيم أن نلاحظ، في فترة ما بعد المَجمع، وفي كلّ الكنائس المحلّيّة، إلى أيّ درجة تتوافر، من أجل وحدة المسيحيّين، المبادراتُ والنّشاطاتُ الّتي تشمل أيضًا المجالس الأسقفيّة والأبرشيّات والجماعات الرّاعويّة، ومختلف الدّوائر والحركات الكنسيّة.

(التّآزر الّذي تحقّق)

٧٤– «ليس مَن يَقول لي يا ربّ، يا ربّ، يدخُل ملكوت السّماوات، بل مَن يَعمَلُ بمشيئة أبي الّذي في السّماوات» (متّى ٧، ٢١). يتحقّق تناسق النّوايا ونزاهتها عندما توضع موضع التّنفيذ في الحياة الواقعيّة. يُشير القرار المَجمعيّ في الحركة المسكونيّة إلى «أنّ الإيمانَ بالمسيح يُنتجُ ثِمارَ الحمدِ والشّكرِ لله على الإحسانات الّتي أوْلاها. وإلى هذا يُضافُ الشّعورُ المُرهَفُ بالعدل، والمحبّةُ الصّادقةُ تجاه القريب»[١٢٥].

وما يُلمَّح إليه تلميحًا يُمكن أن يكون مجالًا خصبًا ليس للحوار فحسب، إنّما للتّعاون الفعّال أيضًا: «وقد حدا هذا الإيمان العامِلُ على إنشاءِ مبرّات لِتَلطيفِ

[١٢٥] أُنْظُر: «الحركة المسكونيّة»، رقم ٢٣.

وطأةِ البؤسِ الرّوحيّ والجسديّ، ولتربية الأحداث، وتحسين أوضاعِ الحياة المجتمعيّة، ونَشرِ لِواءِ السّلامِ الوطيد في كلِّ مكان»[١٢٦].

وتُقدّم الحياة الاجتماعيّة والثّقافيّة حقلًا واسعًا للتّعاون المسكونيّ، فيتلاقى المسيحيّون على الدّوام أكثر للدّفاع عن الكرامة الإنسانيّة، ولتنشيط منافع السّلام، ولتطبيق الإنجيل على الصّعيد الاجتماعيّ، ولإحلال الفكر المسيحيّ في العلوم والفنون. إنّهم يتلاقون دومًا أكثر عندما يُدعون إلى مساعدة البؤساء، وإلى معالجة مصائب عصرنا، الجوع والكوارث الطّبيعيّة والظّلم الاجتماعيّ.

٧٥– هذا التّعاون الّذي يستوحي الإنجيل نفسه لا يرى فيه المسيحيّون البتّة مُجرّد عملٍ إنسانيّ. إنّه يَجد علّة كيانه في كلام الرَّبّ: «لأنّي جُعْتُ فأطعَمتُموني» (متّى ٢٥، ٣٥). وكما سَبَقَ وأشرْتُ إلى ذلك، إنّ تعاون جميع المسيحيّين يُظهر بوضوح مدى الشّركة القائمة بينهم[١٢٧].

في نظر العالم، يَتّخذ حينئذٍ عمَلُ المسيحيّين المتضامنُ في المجتمع قيمة شهادةٍ مسيحيّة ناصعة يؤدّونها بالتّعاون باسم الرَّبّ: وتتّسع بالتّالي إلى أبعاد بشارة، لأنّها تَكشف وجه المسيح.

---

[١٢٦] المرجع نفسه.

[١٢٧] المرجع نفسه، رقم ١٢.

إنّ الإصرار على الاختلافات العقائديّة يحدّ من التّعاون ويوثّر سلبًا فيه. أمّا الشّركة في الإيمان القائمة منذ الآن بين المسيحيّين فتُقدّم أساسًا راسخًا ليس لعملهم المشترك فحسب في الحقل الاجتماعيّ، بل أيضًا في الحقل الدّينيّ.

ولسوف يُسهّل هذا التّعاون البحث عن الوحدة. وهذا ما سبق وأشار إليه القرار في الحركة المسكونيّة، إذ قال: «إنَّ جميعَ المؤمنينَ بالمسيح يَجدُون في هذا التّعاونِ السّبيلَ إلى المَزيدِ من التّعارفِ والتّقدير المُتبادل، ثمّ تهيئةَ السّبيلِ إلى الوحدة بين المسيحيّين»[١٢٨].

٧٦– وكيف لا نذكر، في هذا الإطار، الاهتمام المسكونيّ بالسّلام المعبَّر عنه في الصّلاة والعمل، مع مساهمةٍ متزايدة للمسيحيّين وتعليلٍ لاهوتيّ يزداد أكثر فأكثر تعمُّقًا؟ لا يُمكن أن يكون غيرُ ذلك على الإطلاق: ألسْنا نؤمن بيسوع المسيح، رسولًا للسّلام؟ ولقد بات المسيحيّون أكثر تضامنًا لِنَبْذِ العنف، كلّ أنواع العنف، بدءًا بالحروب حتّى الظّلم الاجتماعيّ.

إنّنا مدعوّون إلى التزامٍ دائم النّشاط، حتّى يَستَبين بوضوح أكبرَ أنّ التّعليلات الدّينيّة ليست السّببَ الحقيقيّ للنّزاعات القائمة، ولئن لم يُتدارك، ويا للأسف!، خطرُ استغلالها لأهدافٍ سياسيّة وجدليّة.

سنة ١٩٨٦، في خلال **اليوم العالميّ للصّلاة من أجل السّلام**، بأسّيزي، توسّل المسيحيّون من مختلف الكنائس والجماعات الكنسيّة، بصوتٍ واحد، إلى سيّد التّاريخ

---

[١٢٨] المرجع نفسه.

لأجل السّلام في العالم. وفي هذا اليوم، وبطريقة مختلفة ولكن متوازية، صلّى اليهود وممثّلو الأديان غيرِ المسيحيّة لأجل السّلام، في وحدةٍ من العواطف اهتزّت لها أوتار الفكر البشريّ الأكثر إحساسًا. ولن **أنسى يوم الصّلاة لأجل السّلام في أوروبّا وبالأخصّ في البلقان**، الّذي أعادني حاجًّا إلى مدينة فرنسيس، في التّاسع والعاشر من كانون الثّاني ١٩٩٣؛ ولن أنسى القدّاس **لأجل السّلام في البلقان وبالأخصّ في البوسنة – الهرسك** الّذي رأستُه في الثّالث والعشرين من كانون الثّاني ١٩٩٤، بكاتدرائيّة القدّيس بطرس، في إطار أسبوع الصّلاة لأجل وحدة المسيحيّين.

إذا ما أجَلنا الطّرف في العالم، يغمر الفرح قلبنا، إذ نلاحظ أنّ المسيحيّين يشعرون أكثر، وبشكلٍ دائم، أنّ قضيّة السّلام تناديهم؛ فباتوا يعتبرونها مرتبطة كلَّ الارتباط بإعلان الإنجيل وحلول ملكوت الله.

الفصل الثّالث

أين نحن من المسيرة؟

(متابعة الحوار وتكثيفه)

٧٧– يُمكننا أن نتساءل الآن: أيّ مسافةٍ تفصلنا بعدُ عن اليوم المبارك الّذي نستطيع فيه، وقد بلغنا ملء الوحدة في الإيمان، أن نحتفل معًا، في الوئام، بإفخارستيّا الرَّبّ المقدّسة. إنّ التّقدُّم الّذي أحرزناه حتّى الآن في المعرفة المتبادلة، ونقاط التّلاقي

العقائديّ الّتي بلغنا إليها قد أثمرت تعمُّقًا في الشّركة عاطفيًّا وفعليًّا، ولكنّها لا يُمكن أن تُرضي ضميرَ المسيحيّين الّذين يؤمنون بكنيسة واحدةٍ، مقدّسةٍ، جامعيّةٍ ورسوليّة. إنّ الهدف الأسمى للحركة المسكونيّة هو إعادة ملء الوحدة الظّاهرة بين جميع المعمَّدين.

بالنّسبة إلى هذا الهدف، ليست النّتائج الّتي حصلنا عليها حتّى الآن سوى مرحلة، ولكنّها، بالفعل، مرحلةٌ واعدةٌ وإيجابيّة.

٧٨– في الحركة المسكونيّة، لا تتفرّد الكنيسة الكاثوليكيّة، مع الكنائس الأرثوذكسيّة، في امتلاك هذا التّصوُّر المتطلّب للوحدة الّتي أرادها الله. إنّ الميل إلى بلوغ هذه الوحدة يُعبَّر عنه أيضًا عند الآخرين[١٢٩].

يَفترض العملُ المسكونيّ تعاونَ الجماعات المسيحيّة المتبادَل كي تجعل في ذاتها، حقًّا حاضرًا، جميع محتوى ومتطلّبات «الميراث الّذي نقله إليها الرّسل»[١٣٠]. من دون ذلك لا يُمكن البتّة أن تتمّ ملء الشّركة. فالتّعاون المتبادَل في البحث عن الحقيقة يُمثّل أسمى أشكال المحبّة الإنجيليّة.

---

[١٢٩] إنّ عمل لجنة «الإيمان والنّظام» الدّؤوب قد أدّى إلى تصوّرٍ مماثل تبنّتهُ الجمعيّة العموميّة لمجلس الكنائس العالميّ في تصريح كانبرا (٧–٢٠ شباط ١٩٩١)، أُنْظُرْ «علامات الرّوح» (*Signs of the Spirit*)، التّقرير الرّسميّ للجمعيّة السّابعة، مجلس الكنائس العالميّ، جنيف (١٩٩١)، ص ٢٣٥–٢٥٨. وهذا التّصريح كرّرَتْه النّدوة العالميّة للجنة «الإيمان والنّظام»، في مزار القدّيس يعقوب بكومبوستل (٣–١٤ آب ١٩٩٣، أُنْظُرْ مجلّة «مكتب الإعلام» (*Information Service*)، ٨٥، ١٩٩٤، الفاتيكان، ص ١٨–٣٨.

[١٣٠] أُنْظُرْ «الحركة المسكونيّة»، رقم ١٤.

ولقد عُبِّر عن التّوق إلى الوحدة في مختلف وثائق لجان الحوار العديدة المشتركة الدّوليّة، إذ تتحدّث تلك النّصوص عن المعموديّة والإفخارستيّا والخدمة الكهنوتيّة والسُّلطة، انطلاقًا من بعض الوحدة الأساسيّة في العقيدة.

من هذه الوحدة الأساسيّة، المجتزأة، علينا أن ننطلق الآن إلى وحدةٍ ظاهرة ضروريّة وكافية، تَنْسَبِك في الحقيقة الواقعيّة، كي تُحقّق الكنائس فعلًا علامة الشّركة الكاملة في الكنيسة الواحدة، المقدّسة، الجامعة، والرّسوليّة، ويُعبّر عنها في الاحتفال المشترك بالإفخارستيّا.

إنّ المسيرة نحو الوحدة الظّاهرة الضّروريّة والكافية، في شركة الكنيسة الواحدة الّتي أرادها المسيح، تتطلّب بعدُ جهدًا صبورًا وشجاعًا. بِفِعلنا هذا، يليق ألّا نفرض واجباتٍ أخرى غير الّتي لا يُمكن الاستغناء عنها (اُنْظُرْ أع ١٥: ٢٨).

٧٩– منذ الآن يُمكن أن نُميّز المواضيع الواجب التّعمُّق فيها كي نبلغ توافقًا حقيقيًّا في الإيمان:

١) العلاقات بين الكتاب المقدّس، السُّلطة العليا في موضوع الإيمان، والتّقليد المقدّس؛ التّفسير الّذي لا يُمكن الاستغناء عنه لكلام الله؛

٢) الإفخارستيّا، سرّ جسد المسيح ودمه، تقدمة الحمْد للآب، وذكرى ذبيحة المسيح وحضوره الحقيقيّ، وفَيض الرّوح القدس المقدّس؛

٣) الرّسامة، كَسِرٍّ ثلاثيّ الخدمة: الأسقفيّة والكهنوت والشّموسيّة؛

٤) السُّلطة العليا في الكنيسة الّتي مُنِحت للبابا وللأساقفة بالشّركة معه، والّتي تُعَدّ مسؤوليّةً وسُلطة باسم المسيح للتّعليم والمحافظة على الإيمان؛

٥) العذراء مريم، أمّ الله وأيقونة الكنيسة، الأمّ الرّوحيّة الّتي تَضْرَعُ من أجل تلاميذ المسيح والبشريّة جمعاء.

في هذه المسيرة الشّجاعة نحو الوحدة، يفرض وضوح الرّؤية وحذر الإيمان أن نتحاشى الرّغبة في السّلام الكاذب واللّامبالاة لمبادئ الكنيسة[١٣١]. وفي المقابل، يُوصينا الوضوحُ نفسُه والحذر عينُه، تجنُّبَ المناهضة السّابق تصميمُها أو التّشاؤمَ الّذي يُفضي إلى رؤية كلّها سلبيّة.

إنّ المحافظة على مفهومٍ للوحدة يأخذ بعين الاعتبار جميع متطلّبات الحقيقة الموحى بها، لا يعني أن نلجم الحركة المسكونيّة[١٣٢]. على العكس من ذلك، إنّ هذا يعني تحاشي التّوافق حول حلولٍ مشبوهة لا تُفضي إلى شيء ثابت أو متين[١٣٣]. إنّ تطلُّب الحقيقة يجب أن يبلغ النّهاية. أليست تلك شريعة الإنجيل؟

(تَقبُّل النّتائج المكتسَبة)

٨٠– فيما يُتابَع الحوارُ حول مواضيع جديدة، أو يتطوّر على مستوى أعمق، أُنيطت بنا مسؤوليّة جديدة علينا تنفيذها، ألا وهي تقبُّل النّتائج المكتسَبة حتّى الآن،

---

[١٣١] أُنْظُرْ: المرجع نفسه، رقم ٤ و١١.

[١٣٢] أُنْظُرْ: الخطاب إلى الكرادلة والدّوائر الرّومانيّة (٢٨ حزيران ١٩٨٥)، رقم ٦؛ أُنْظُرْ أيضًا، مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٧٧، ١٩٨٥، ص ١١٥٣.

[١٣٣] أُنْظُرْ: المرجع نفسه.

إذ لا يُمكنها أن تبقى تأكيدات صادرة عن لجانٍ ثنائيّة، بل يجب أن تُصبح إرثًا مشتركًا. ولبلوغ هذا، ولتقوية روابط الشّركة، علينا أن نقوم بفحصٍ للضّمير جِدِّيّ، يعني شعب الله بمجمله، وبطُرق مختلفة، وبالنّظر إلى صلاحيّاتٍ متعدّدة. في الواقع، غالبًا ما يعني ذلك قضايا تمسّ الإيمان، وتفترض توافقًا شاملًا، بدءًا من الأساقفة حتّى المؤمنين العلمانيّين، لحصولهم جميعًا على مسحة الرّوح القدس[١٣٤]، وهو الرّوح نفسه الّذي يعضد السُّلطة العليا ويثير حسّ الإيمان.

وبُغية تقبُّل نتائج الحوار، يجب السّهر على مسارٍ نقديّ واسع ودقيق لتحليل تلك النّتائج والتّحقُّق والتّدقيق من توافقها وتقليدَ الإيمان الّذي نلناه من الرّسل وحييناه في جماعة المؤمنين الملتئمة حول الأسقف الرّاعي الشّرعيّ.

٨١– إنّ هذه الخطّة الواجب اتّباعُها بحذرٍ وبموقف إيمان، سوف يعضدها الرّوحُ القدس. ولكي تأتيَ بنتائج مُرضية، من الواجب أن تُذاع خلاصاتُها بطريقة ملائمة، وعلى يد أشخاص أخصّائيّين. وتتّصف بالأهمّيّة الكبرى المساهماتُ الّتي يُدعى إلى تقديمها اللّاهوتيّون ومعاهدُ اللّاهوت، بوضعهم موضع العمل مواهبَهم في الكنيسة. من الواضح أيضًا أنّ للّجان المسكونيّة دورًا ومسؤوليّة مميّزَين في هذا الشّأن.

إنّ الأساقفة والكرسيّ الرّسوليّ يتتبّعون مراحل هذه الخطّة ويُساندونها. وتعود إلى السُّلطة التّعليميّة مسؤوليّة إبرام الحكم النّهائيّ.

---

[١٣٤] أُنْظُرْ: «الكنيسة»، رقم ١٢.

في هذا كلّه، إنّه لَمن المفيد جدًّا، على الصّعيد المنهجيّ، أن نلتزم تمييز وديعة الإيمان من الأسلوب الّذي يعبّر عنه، كما أوصى بذلك البابا يوحنّا الثّالث والعشرون في الخطاب الّذي ألقاه، لدى افتتاح المَجمع الفاتيكانيّ الثّاني[١٣٥].

(متابعة الحوار المسكونيّ الرّوحانيّ وتأدية شهادة القداسة)

٨٢– لا شكّ في أنّ جسامة الالتزام المسكونيّ تنادي المؤمنين الكاثوليك في العمق، وأنّ الرّوحَ يدعوهم إلى فحصٍ للضّمير جدّيّ. على الكنيسة الكاثوليكيّة أن تَلِج فيما يُمكن أن يُسمّى «حوار الارتداد»، حيث يكمن الأساس الرّوحانيّ للحوار المسكونيّ في هذا الحوار الجاري في حضرة الله؛ على كلّ واحدٍ أن يبحث عن أخطائه الخاصّة ويقرّ بخطاياه ويرتمي بين يدَي الّذي هو الوسيطُ عند الآب، يسوع المسيح.

من المؤكّد أنّ القدرة الضّروريّة للبلوغ بالمسيرة المسكونيّة، الطّويلة والصّعبة، إلى الغاية المُرتجاة تتوافر في هذه العلاقة، علاقة الارتداد إلى مشيئة الآب، وفي الوقت عينه، علاقة التّوبة والثّقة الكاملة بقدرة الحقيقة المصالحة، أي المسيح.

إنّ «حوار ارتداد» الجماعات كلّها إلى الآب، من دون شفقة على ذواتها، يُشكّل أساس العلاقات الأخويّة الّتي تختلف كلَّ الاختلاف عن اتّفاقٍ حبّيّ أو تعايشٍ خارجيّ. إنّ روابط الجماعة الأخويّة تُعقد أمام الله وفي المسيح يسوع.

---

[١٣٥] أُنْظُر: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٥٤، ١٩٦٢، ص ٧٩٢.

مُجَرَّدُ امتثالنا في حضرة الله يُمكن أن يُرسيَ أساسًا متينًا لارتداد المسيحيّين، والإصلاح الدّائم للكنيسة، بصفتها أيضًا بشريّة وأرضيّة[١٣٦]؛ وهكذا تُعقد الشّروط المهيّئة لكلّ عملٍ مسكونيّ. يتمثّل أحد العناصر الجوهريّة للحوار المسكونيّ بالجهد المبذول لجَلْب الجماعات المسيحيّة إلى المجال الرّوحانيّ الدّاخليّ حيث المسيح، بقدرة الرّوح، يوحي إليها جميعها من دون استثناء أن تفحص ذاتها بحضرة الآب وتتساءل هل كانت أمينةً لتدبيره في الكنيسة.

٨٣– لقد تحدّثتُ عن مشيئة الآب وعن المجال الرّوحانيّ حيث كلّ جماعة تسمع النّداء الّذي يدعوها إلى تجاوز الحواجز الّتي تحول دون الوحدة. في الواقع، إنّ الجماعات المسيحيّة كلّها تعرف أنّ مثل هذا التّطلُّب ومثلَ هذا التّسامي ليسا بِبعيدَيْن عن متناولها، بالقدرة الّتي يمنحها الرّوح. ففي صفوفها جميعها شُهداءُ للإيمان المسيحيّ[١٣٧]. بالرّغم من مأساة الانشقاق، حافظ هؤلاء الإخوة في ذواتهم على تمسُّك جذريّ ومطلَقٍ بالمسيح وبالآب حتّى إنّهم صاروا إلى إراقة الدّم. أليس هو أيضًا ذاك التّمسُّك الّذي يحصل فيما سمّيتُه «حوار الارتداد»؟ أليس هو ذاك الحوار الّذي يؤكّد ضرورة المضيّ حتّى نهاية اختبار الحقيقة من أجل ملءِ الشّركة؟

---

[١٣٦] أُنْظُرْ: «الحركة المسكونيّة»، رقم ٦.

[١٣٧] أُنْظُرْ المرجع نفسه، رقم ١٤، بولس السّادس، تأمّل لإعلان قداسة الشّهداء الآوغنديّين (١٨ تشرين الأوّل ١٩٦٤)؛ أُنْظُرْ أيضًا: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٥٦، ١٩٦٤، ص ٩٠٦.

٨٤– بحسب وجهة نظرٍ مركّزة على الله، لدينا، نحن المسيحيّين، «سِفْرَ شهادة» مشترك، ينطوي أيضًا على شهداء من عصرنا، أكثر ممّا يُمكن أن نتصوّر. وهذا السّفر يُظهِر، في العمق، أنّ الله يصون الشّركة لدى المعمَّدين بأقصى ما يتطلّبه الإيمان، تُعبّر عنه ذبيحة الحياة[١٣٨]. وإذا ما كان الإنسان يستطيع أن يُستشهد من أجل الإيمان، فهذا يُبرهِن أنّه بالإمكان البلوغ إلى الهدف عندما يعني الأمرُ مظاهرَ أخرى للمتطلّبات نفسها.

لقد سبق ولاحظتُ بفرح أنّ الشّركة ثابتة وحقيقيّة وإن تكن ناقصة، وأنّها تنمو على مختلف مستويات الحياة والكنيسة. وأرى أنّها بلغت الكمال فيما نعتبره جميعُنا قمّة حياة النّعمة، أي **الشّهادة** حتّى الموت، وهي أصدقُ شركة مع المسيح الّذي سَفَكَ دَمَه، والّذي، بذبيحته، يُصَيّر قريبين من كانوا قبلَ ذلكَ بعيدين (راجِعْ: أفس ٢، ١٣).

إذا كانت الجماعات المسيحيّةُ كلُّها تعتبر الشّهداء برهانًا لقدرة النّعمة، فليسوا مع ذلك الوحيدين ليشهدوا لهذه القدرة. إنّ شركة جماعاتنا غيرَ التّامّة يضمّها، وإن بطريقة غير مرئيّة، بالتحامٍ متين، ملءُ شركة القدّيسين، أي هؤلاء الّذين يدخلون في شركةٍ مع المسيح الممجَّد، في نهاية حياةٍ أمينةٍ للنّعمة. هؤلاء **القدّيسون** يأتون من كلّ الكنائس والجماعات الكنسيّة الّتي فتحت أمامهم المدخل إلى شركة الخلاص.

---

١٣٨ أُنْظُرْ: يوحنّا بولس الثّاني، **إطلالة الألف الثّالث**، مرجع سابق، رقم ٣٧؛ الرّسالة **تألّق الحقيقة**، ٦ آب ١٩٩٣، رقم ٩٣؛ أُنْظُرْ أيضًا: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٨٥، ١٩٩٣، ص ١٢٠٧. ظهرت هذه الرّسالة الثّانية أيضًا في منشورات اللّجنة الأسقفيّة لوسائل الإعلام، جلّ الدّيب (لبنان)، ١٩٩٤.

عندما يُتحدَّث عن إرثٍ مشترك، ليس علينا أن نُضمّنَ فقط المؤسّسات والطّقوس ووسائل الخلاص والتّقاليد الّتي حافظت عليها الجماعاتُ كلُّها وبها انتظمت، بل يجب أن نُضمّنَه في الطّليعة واقع القداسة هذا[١٣٩].

بفضل إشعاع «ميراث القدّيسين» المُنتَمين إلى الجماعات كلّها، يظهر حينئذٍ «حوارُ الارتداد» إلى الوحدة الكاملة والمرئيّة تحت ضوء الرّجاء. لأنّ حضور القدّيسين الشّامل يُقيم الدّليلَ على سموّ قُدرةِ الرّوح. إنّه علامة وبرهانٌ عن انتصار الله على قوى الشّرّ الّتي تقسم البشريّة. وكما تنشد ذلك اللّيترجيّات، «فإنّ الله يُتوّج عطاياه الخاصّة بتتويجه مآثر [القدّيسين]»[١٤٠].

عندما تتوافر الإرادة الصّادقة لاتّباع المسيح، غالبًا ما يعرف الرّوح أن يفيض نعمته بطُرُقٍ تختلف عن الطّرق العاديّة. ولقد سمح لنا الاختبار المسكونيّ أن نُحسن فَهْمَ ذلك. وإذا عرفت الجماعات حقًّا أن «ترتدّ»، في المجال الرّوحانيّ الدّاخليّ الّذي وصفتُه، بحثًا عن الشّركة الكاملة والمرئيّة، فإنّ الله سيصنع لها ما سبق وصنعه لقدّيسيه. إنّه سيتجاوز الحواجز الموروثة من الماضي ويقودها في طُرقه حيثما يشاء إلى الشّركة المرئيّة الّتي هي، في الوقت عينه، حمْدٌ لمجده وخدمةٌ تؤدَّى لتدبيره الخلاصيّ.

---

[١٣٩] أُنْظُرْ: بولس السّادس، خطاب في معبد ناموغونغو الشّهير بأوغندا (٢ آب ١٩٦٩)؛ أُنْظُرْ أيضًا: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٦١، ١٩٦٩، ص ٥٩٠-٥٩١.

[١٤٠] أُنْظُرْ كتاب القدّاس الرّومانيّ، صلاة تقدمة القدّيسين الأولى: (*Sanctorum «coronando merita, tua dona coronans*»).

٨٥– ولأنّ الله، برحمته الّتي لا حدّ لها، يستطيع دومًا أن يستخلص خيرًا حتّى من الأوضاع الّتي تُناقض تدبيره، فإنّ بإمكاننا أن نكتشف أنّ الرّوح قد عمل، بحيث إنّ العوائق تساعد، في بعض الأحيان، على إيضاح مختلف مظاهر الدّعوة المسيحيّة، كما يحصل في حياة القدّيسين. بالرّغم من الانشقاقات الّتي هي شرّ علينا أن نُشفى منه، فقد تحقّق مع ذلك نوعٌ من تواصل غِنى النّعمة يهدف إلى زيادة الشّركة جمالًا. إنّ نعمة الله تحلّ في جميع الّذين يجهدون في اتّباع متطلّباتها، على مثال القدّيسين. ونحن كيف يُمكننا التّردُّد في الارتداد إلى ما ينتظره الآب؟ إنّه معنا.

(إسهام الكنيسة الكاثوليكيّة في البحث عن وحدة المسيحيّين)

٨٦– إنّ الدّستور العقائديّ «نور الأمم» (الكنيسة) قد صرّح، في أحد تأكيداته الأساسيّة الّتي كرّرها القرار المَجمعيّ «الحركة المسكونيّة»[١٤١]، أنّ كنيسة المسيح الواحدة حاضرةٌ في الكنيسة الكاثوليكيّة[١٤٢]. ويُنوّه القرارُ حول الحركة المسكونيّة بوجود ملء وسائل الخلاص فيها[١٤٣]. إنّ الوحدة الكاملة ستتحقّق عندما يُشارك الجميع في ملء وسائل الخلاص الّتي عهد بها المسيحُ إلى كنيسته.

٨٧– في السّبيل الّذي يؤدّي إلى ملء الوحدة، يَجهد الحوار المسكونيّ في إثارة مساندةٍ أخويّة متبادَلة تسعى بها الجماعات إلى تبادل ما يعوز كلًّا منها للنُّموّ وفق

---

[١٤١] أُنْظُرْ: القرار «الحركة المسكونيّة»، رقم ٢.

[١٤٢] أُنْظُرْ: الدّستور العقائديّ «الكنيسة» (نور الأمم)، رقم ٨.

[١٤٣] أُنْظُرْ: القرار «الحركة المسكونيّة»، رقم ٣.

التّدبير الإلهيّ إلى أن تبلغ الاكتمال النّهائيّ (راجِعْ: أفس ٤: ١١-١٣). لقد قلت إنّنا، بصفتنا كنيسة كاثوليكيّة، نَعي أنّنا تقبّلنا كثيرًا من الشّهادة والأبحاث وحتّى من الطّريقة الّتي بها نوّهت الكنائسُ والجماعاتُ الكنسيّة الأخرى ببعض ثروات المسيحيّين المشتركة وعاشتها. وممّا تحقّق من تقدُّم، خلال السّنوات الثّلاثين الأخيرة، يجب أن نُشيد بذاك التّأثير الأخويّ المتبادل. وبالنّسبة إلى ما بلغناه[١٤٤]، يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار جدِّيًّا تلك الفعاليّة في الإغناء المتبادل.

وإذ يرتكز هذا الإغناء على الشّركة القائمة حتّى الآن بفضل العناصر الكنسيّة المتوافرة لدى الجماعات المسيحيّة، فإنّه لا بدَّ من أن يقود إلى الشّركة الكاملة والمرئيّة، ذلك الهدف المُرتجى من مسيرتنا الحاضرة. إنّها المظهر المسكونيّ لشريعة الإنجيل في المشاركة. ممّا يدعوني إلى أن أُكرّر: «علينا أن نحمل في كلّ شيء الاهتمام بأن نلاقي ما يرغب فيه شرعًا وما ينتظره منّا إخوتُنا المسيحيّون الآخرون، بالاطّلاع على أسلوب تفكيرهم ومشاعرهم [...]. يجب أن تُنمّى مواهب كلّ واحدٍ لمنفعة الجميع ومصلحتهم»[١٤٥].

---

[١٤٤] يشير النّصّ إلى **وثيقة ليما** الصّادرة عن لجنة «الإيمان والنّظام» حول المعموديّة والإفخارستيّا والخدمة الكهنوتيّة (كانون الثّاني ١٩٨٢)؛ ظهرت الوثيقة في *Enchiridion Occum*، ص ١٣٩٢-١٤٤٦؛ ويشير إلى الرّوح الّذي خَيَّمَ على بيان الجمعيّة العموميّة السّابعة لمجلس الكنائس العالميّ حول «وحدة الكنيسة كجماعة: عطاء ومتطلّبات» (كانبرا، ٧-٢٠ شباط ١٩٩١؛ أُنْظُرْ أيضًا:

Istina 36 (1991), 389-391.

[١٤٥] أُنْظُرْ: خطاب إلى الكرادلة والدّوائر الرّومانيّة (٢٨ حزيران ١٩٨٥)، رقم ٤؛ أُنْظُرْ أيضًا: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٧٧، ١٩٨٥، ص ١١٥١-١١٥٢.

(خدمة أسقف روما للوحدة)

٨٨– ما بين الكنائس والجماعات الكنسيّة كلّها، تَعي الكنيسة الكاثوليكيّة تمام الوعي أنّها حافظت على خدمة خليفة الرّسول بطرس، أسقف روما الّذي نصّبه الله «هو المبدأُ الدّائمُ المنظور والأساسُ للوَحدة»[١٤٦]، والّذي يعضدُه الرّوح كي يَنعمَ الآخرون جميعُهم من هذا الخير الجوهريّ. وفقًا للتّعبير الجميل الّذي تفوّه به البابا غريغوريوس الكبير، إنّ خدمتي هي خدمة خادم خُدّام الله. وهذا التّحديد هو الحامي الأكبر ضدّ خطر فصل السُّلطة (وبالأخصّ الأولويّة) عن الخدمة، ممّا يُشكّل تناقضًا ومفهومَ السُّلطة بحسب الإنجيل: «فأنا بينَكم كالّذي يخدُم» (لو ٢٢، ٢٧)، قال ربُّنا يسوعُ المسيح رأسُ الكنيسة.

من جهة أخرى، كما أُتيح لي أن أُعلن في خلال اللّقاء المهمّ بمجلس الكنائس العالميّ بجنيف، في الثّاني عشر من حزيران ١٩٨٤، إنّ اعتقاد الكنيسة الكاثوليكيّة المرئيّة وضمانةَ الوحدة في خدمة أسقف روما، يُشكّل عقبةً لغالبيّة المسيحيّين الآخرين الّذين دَمغت ذاكرتهم بعضُ الذّكريات الأليمة. فعمّا نحن مسؤولون أطلب الغفران، كما فَعَلَ سلفي بولس السّادس[١٤٧].

---

[١٤٦] أُنْظُرْ: «الكنيسة»، رقم ٢٣.

[١٤٧] أُنْظُرْ: خطاب إلى مجلس الكنائس العالميّ (١٢ حزيران ١٩٨٤) رقم ٢: *Insegnamenti* VII، (١٩٨٤)، ص ١٦٨٦.

٨٩– ومع ذلك، إنّه لمِنَ المعبِّر والمُشجِّع أنّ قضيّة أولويّة أسقف روما أصبحت، في الوقت الرّاهن، موضوع دراسات، حاليّةٍ أو مستقبليّة، كما أنّه مُعبِّرٌ ومشجِّعٌ أن تكون هذه القضيّة مسألةً جوهريّةً لا تُدرَج حصرًا في الحوارات اللّاهوتيّة الّتي تُجريها الكنيسة الكاثوليكيّة مع الكنائس والجماعات الكنسيّة الأخرى، بل تُعَمّم في مُجْمَل الحركة المسكونيّة.

منذ عهدٍ قريب، أوصى المشتركون في الجمعيّة العالميّة الخاصّة للجنة الإيمان والنّظام المنبثقة عن مجلس الكنائس العالميّ والمنعقدة في القدّيس يعقوب بِكومبوستيل، بأن تباشر اللّجنة بدراسةٍ جديدة حول قضيّة الخدمة الشّاملة للوحدة المسيحيّة[١٤٨]. وبعد قرون من المناظرات الشّديدة، أخذت الكنائس والجماعات الكنسيّة الأخرى تبحث أكثر، وبشكلٍ دائم، وبرؤية جديدة، في قضيّة الخدمة للوحدة هذه[١٤٩].

٩٠– أسقف روما هو أسقف الكنيسة الّتي لا تزال موسومةً بشهادتَي بطرس وبولس: «بتدبيرٍ من العناية الإلهيّة عجيب، في روما، أنهى بطرس مسيرته على أثر

---

[١٤٨] الجمعيّة العالميّة للجنة «الإيمان والدّستور»، تقرير القسم الثّاني، القدّيس يعقوب بكومبوستيل (١٤ آب ١٩٩٣): «الاعتراف بإيمان واحد لمجد الله»، رقم ٣١، ٢: ورقة الإيمان والنّظام رقم ١٦٦، مجلس الكنائس العالميّ، جنيف، ١٩٩٤، ص ٢٤٣.

[١٤٩] نذكر على سبيل المثال: اللّجنة العالميّة الأنكليكانيّة–الرّومانيّة، التّقرير النّهائيّ (أيلول ١٩٨١)؛ اللّجنة الدّوليّة المشتركة للحوار بين تلاميذ المسيح والكنيسة الكاثوليكيّة، تقرير ١٩٨١؛ اللّجنة الكاثوليكيّة–اللّوثريّة الوطنيّة المشتركة، وثيقة الخدمة الرّاعويّة في الكنيسة (الولايات المتّحدة الأميركيّة، ١٣ أذار ١٩٨١)؛ توضّحت المسألة في إطار البحث الّذي أجرته اللّجنة الدّوليّة المشتركة للحوار اللّاهوتيّ بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة الأرثوذكسيّة.

يسوع، وفيها أعطى ذاك البرهان الأعظم عن محبّته وأمانته. وفي روما أيضًا أعطى بولس، رسول الأمم، الشّهادة الأسمى، وهكذا أصبحت كنيسةُ روما كنيسةَ بطرس وبولس»[١٥٠].

يحتلّ شخصُ بطرس في العهد الجديد مقامًا مرموقًا. ففي القسم الأوّل من سفر أعمال الرّسل، يظهر كرئيس ومُتكلّم باسم مصفّ الرّسل، المعروف «باسم بطرس... مع الأحد عشر» (٢، ١٤؛ أُنْظُرْ أيضًا ٢، ٣٧؛ ٥، ٢٩). إنّ المقام المكرَّس لبطرس يرتكز على أقوال المسيح نفسها، كما حفظتها التّقاليد الإنجيليّة.

٩١– يَصِفُ إنجيل متّى ويُحدّد رسالة بطرس الرّاعويّة في الكنيسة: «طوبى لك، يا سمعانُ بن يونا، فليس اللّحمُ والدّمُ كشفا لك هذا، بل أبي الّذي في السّماوات. وأنا أقولُ لك: أنتَ صخْرٌ وعلى الصّخرِ هذا سأبني كنيستي، فَلَن يقوى عليها سُلطان الموت. وسأُعطيك مَفاتيحَ ملكوت السّماوات. فما رَبَطتَه في الأرض رُبِط في السّماوات. وما حَلَلْتَه في الأرض حُلّ في السّماوات» (متّى ١٦: ١٧–١٩).

أمّا لوقا فيُشير إلى أنّ المسيح أوصى بطرس بأن يُثبّت إخوته، فيما يُظهر له في الوقت عينه ضُعفَه البشريّ وحاجته إلى التّوبة (أُنْظُرْ ٢٢: ٣١–٣٢). كأنّما، انطلاقًا من ضعف بطرس البشريّ، بات من الواضح تمامَ الوضوح أنّ خدمته المميّزة في

---

[١٥٠] أُنْظُرْ: خطاب إلى الكرادلة والدّوائر الرّومانيّة (٢٨ حزيران ١٩٨٥)، رقم ٣؛ أُنْظُرْ أيضًا: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٧٧، ١٩٨٥، ص ١١٥٠.

الكنيسة هي من فعل النّعمة؛ وكأنّما سعى المعلّم إلى ارتداده كي يُهيّئه للمهمّة الّتي كان مُزمعًا أن ينتدبه إليها في كنيسته، وكأنّه كان يتطلّب منه الكثير.

وإنّنا نجد دور بطرس نفسَه المرتبط على الدّوام بتأكيد ضعفه الواقعيّ في الإنجيل الرّابع: «يا سمعان بن يونا، أتُحبُّني أكثر ممّا يُحبُّني هؤلاء؟... اِرعَ حملاني» (يو ٢١: ١٥-١٩). وإنّ لَفي هذا أيضًا تعبيرًا خاصًّا على أنّ المسيح النّاهض من بين الأموات ظهر لكيفا أوّلًا ثُمّ للاثنَيْ عشر، على حدّ ما جاء في رسالة القدّيس بولس إلى القورنثيّين (١٥، ٥).

إنّه لمن المهمّ أن نُلاحظ أنّ ضُعف بطرس وبولس يؤكّد أنّ الكنيسة ترتكز على قدرة النّعمة الّتي لا نهاية لها (أُنْظُرْ متّى ١٦، ١٧؛ ٢ قو ١٢: ٧-١٠). فبطرس، حالًا بعد تولّيه السُّلطة، يؤنّبه المسيح بقساوة نادرة، قائلًا: «أنت لي حَجَرُ عَثْرةٍ» (متّى ١٦، ٢٣). أفلا يُمكن ألّا نرى في الرّحمة الّتي يحتاج إليها بطرس رابطًا مع خدمة تلك الرّحمة نفسِها الّتي كان هو الأوّل ليختبرها؟ ومع ذلك، فإنّه سيُنكر يسوع ثلاث مرّات. ويُلفت إنجيل يوحنّا الانتباه إلى أنّ رعاية القطيع أُنيطت ببطرس جوابًا عن اعترافه ثلاثةً بالحبّ (أُنْظُرْ ٢١: ١٥-١٧)، مقابل نكرانه الثّلاثيّ (أُنْظُرْ ١٣، ٢٨). ويُشدّد لوقا، من جهته، في كلام يسوع الوارِدِ ذكرُه آنفًا والّذي حفظه التّقليدُ الأوّل ليُحدّد رسالة بطرس، على أنّ هذا الأخير عليه «أن يُثبّت إخوته متى يعود» (أُنْظُرْ ٢٢، ٣١).

٩٢– أمّا بولس فيُمكنه أن يختتم وصفَ خدمته بالتّأكيد المؤثّر الّذي أُعطي له أن يلتقطه من شفتَي الرَّبّ: «حسْبُك نعمتي، فإنّ القدرة تَبلُغُ الكمالَ في الضّعف»، فيستطيع أن يصرخ قائلًا: «لأنّني عندما أكون ضعيفًا أكون قويًّا» (٢ قو ١٢: ٩–١٠). تلك هي إحدى خصائص الاختبار المسيحيّ الأساسيّة.

إنّ أسقفَ روما، وريثَ رسالة بطرسَ في الكنيسة الّتي أخصبها دمُ زعيمَي الرّسل، يُمارس خدمته النّابعة من مختلف مظاهر رحمة الله، الرّحمة الّتي تردّ القلوب وتمنح قوّة النّعمة، حيثُما التّلميذُ يعرف الطّعمَ المرّ لضعفه وشقائه. إنّ السُّلطة الخاصّة بهذه الخدمة موضوعةٌ في تصرّف تدبير الرّحمة الإلهيّة، ويجب على الدّوام أن ننظر إليها من وجهة النّظر هذه. وسلطانها يُفهَم بهذا المعنى.

٩٣– إنّ خليفة بطرس، بارتكازه على اعتراف الرّسول الثّلاثيّ بالحبّ مقابل إنكاره الثّلاثيّ، يعرف أنّ عليه أنّ يكون علامة رحمة. وخدمتُه هي خدمةُ رحمة، تنبع من عمل رحمة المسيح. يجب على الدّوام أن نُعيد قراءة أمثولة الإنجيل هذه كلّها، كي لا يضيع شيءٌ البتّة من أصالة ممارسة الخدمة البطرسيّة وشفافيّتها.

يدعو المسيح كنيسة الله إلى أن تُعلن لِعالَمٍ يُكبّله تشابكُ أخطائه ومقاصده الفاسدة أنّ الله، بالرّغم من كلّ شيء، يستطيع، في رحمته، أن يَردّ القلوب إلى الوحدة ويوصلها إلى الشّركة معه.

٩٤– إنّ خدمة الوحدة هذه، المتأصّلة في عمل الرّحمة الإلهيّة، أُوكلت، داخل مصفّ الأساقفة نفسه، إلى واحدٍ من أولئك الّذين أعطاهم الرّوح، لا أن يُمارسوا مهمّة تسلُّطٍ على الشّعب –كما يفعل رؤساءُ الأمم وعظماؤهم (اُنْظُرْ متّى ٢٠، ٢٥؛ مرقس ١٠، ٤٢) – بل أن يقودوا الشّعب في مسيرته إلى المراعي الآمنة. وهذه المهمّة يُمكن أن تفرض تقدمةَ الحياة ذاتها (اُنْظُرْ يوحنّا ١٠: ١١–١٨). بعد أن بيّن القدّيس أوغسطينوس أنّ المسيح هو «الرّاعي الأوحد، الّذي بالوحدة معه لا يكون الجميعُ إلّا واحدًا»، يحثّهم قائلًا: «ليكُن الرّعاةُ جميعُهم، إذًا، في راعٍ واحدٍ، ليُسمعوا صوت الرّاعي الواحد؛ ولتُصغِ إليه النّعاج، لتتبعَ راعيَها، لا هذا ولا ذاك، بل الأوحد. وَليُسمِع الجميعُ فيه، صوتًا واحدًا، لا أصواتًا متنافرة [...]. وهذا الصّوت، المتحرّر من كلّ انشقاق، والنّقيّ من كلّ هرطقةٍ، لتُصغِ إليه النّعاج»[١٥١].

إنّ رسالة أسقف روما، وسط جماعة الرّعاة، تقوم في الواقع على «السّهر»، كحارِسٍ، بحيث يُسمعُ، بفضل الرّعاة، في جميع الكنائس الخاصّة، صوتُ المسيح – الرّاعي الحقيقيّ. وهكذا تتحقّق في كلٍّ من الكنائس الخاصّة المُوكَلَة إليهم، الكنيسة الواحدة المقدّسة الجامعة الرّسوليّة. إنّ الكنائس جميعَها هي في الشّركة الكاملة والمرئيّة لأنّ الرّعاة أنفسَهُم هُمْ في شركة مع بطرس، وهكذا في وحدة المسيح.

على أسقف روما أن يُؤمّن شركة الكنائس كلّها، بالسُّلطة والسّلطان اللّذَيْن من دونهما تكون تلك الوظيفة وهميّة. وبصفته هذه، إنّه أوّل خدّام الوحدة. وتُمارَسُ

[١٥١] اُنْظُرْ: أوغسطينوس، Sermon XLVI, 30: CCL 41, 557.

الأولويّة على أصعدة مختلفة تعني السّهر على نَقْلِ الكلمة، وعلى الاحتفال بالأسرار واللّيترجيّا، وعلى الرّسالة، وعلى النّظام وعلى الحياة المسيحيّة. ويعود إلى خليفة بطرس أن يُذكّر بمتطلّبات خير الكنيسة العامّ، فيما لو سوّلت لأحدٍ نفسُه إهمالَها، خدمةً لمآربه الخاصّة. إنّ من واجبه أن يُنبّه ويُحذّر ويُعلن أحياناً عَدَمَ موافقة رأي من الآراء الشّائعة، ووحدة الإيمان. وعندما تضطرّه الظّروف، يتكلّم باسم جميع الرّعاة المتّحدين في الشّركة معه. ويُمكنه أيضًا – أن يُعلن رسميًّا (*ex cathedra*) أنّ عقيدة ما تخصّ وديعة الإيمان[١٥٢]. وهكذا بشهادته للحقيقة، يخدم الوحدة.

٩٥– ولكنّ هذا كلّه يجب أن يتمّ بالشّركة. وعندما تؤكّد الكنيسة الكاثوليكيّة أنّ وظيفة أسقفِ روما تُلبّي إرادة المسيح، فإنّها لا تفصلها عن الرّسالة الموكَلة إلى جماعة الأساقفة الّذين هم أيضًا «نوّابٌ وسُفراء للمسيح»[١٥٣]. فأسقف روما هو من «صَفّهم» وهم إخوته في الخدمة.

إنّ ما يعني وحدة الجماعات المسيحيّة كلّها يدخل بالطّبع في إطار المهمّات الّتي تعود إلى الأولويّة. إنّه يعرف جيّدًا، بصفته أسقف روما، ولقد أكّد ذلك في الرّسالة الحاضرة، أنّ رغبة المسيح الحارّة هي الشّركة الكاملة والمرئيّة بين الجماعات كلّها، السّاكن فيها روحُه بفضل الأمانة لله. إنّي على يقين أنّي أحمل، من هذا القبيل، مسؤوليّةً خاصّة، ولا سيّما عندما أرى التّوقَ المسكونيّ المنبعثَ في غالبيّة الجماعات

---

١٥٢ أُنْظُر: **المجمع الفاتيكانيّ الأوّل**، «الدّستور العقائديّ في كنيسة المسيح»، *Pastor aeternus*: DS, n. 3074.

١٥٣ أُنْظُر: «الكنيسة»، رقم ٢٧.

المسيحيّة، وعندما أسمع النّداء الموجَّه إليّ بأن أجدَ أسلوبًا لممارسة الأولويّة منفتحًا على الوضع الرّاهن، ولكن من دون أيِّ تَخلٍّ عن جوهر رسالتها.

مدّة ألف سنة، كان المسيحيّون متَّحدين «بالشّركة الأخويّةِ في الإيمانِ وحياة الأسرار. وكانت إذا نشبت بينها خلافاتٌ في العقيدة أو في القانون، يَستَخدِمُ الكرسيُّ الرّومانيُّ سُلطتَه بموافقةِ الجميع»[١٥٤]. كانت الأولويّة تُمارَس هكذا من أجل الوحدة. في حديثي إلى البطريرك المسكونيّ، قداسة ديمتريوس الأوّل، كنتُ أعي، على حدِّ ما قُلت، أنّه «لأسباب عديدة جدًّا، وضدّ إرادة كلٍّ من الطّرفَيْن، اعتُلِنَ ما كان من المفتَرَض أن يكون خدمةً تحت ضوءٍ مختلفٍ بعض الاختلاف. ولكن، [...] رغبةً منّي في أن أُطيع إرادة المسيح، أراني مدعوًّا، كأسقف لروما، إلى أن أمارس هذه الخدمة. [...] إنّي أبتهل إلى الرّوح القدس كي يُفيض علينا نوره ويُلهم جميع رعاة كنائسنا ولاهوتيّيها كي نبحث، بالتّأكيد معًا، عن الأساليب الّتي يُمكن أن تُحقّق فيها هذه الخدمة رسالة المحبّة الّتي يعترف بها الطّرفان»[١٥٥].

٩٦– إنّها لمهمّةٌ جسيمةٌ لا يُمكننا رفضها، كما لا يَسعني وحدي أن أبلُغَ بها حُسن الختام. ألا يمكن للشّركة الحقيقيّة القائمة بيننا جميعًا، وإن كانت على بعض النّقص، أن تستحثَّ المسؤولين الكنسيّين ولاهوتيّيهم ليباشروا معي، حول هذا الموضع، حوارًا أخويًّا ودؤوبًا، يُمكننا أن نصغي فيه بعضنا إلى بعض متجاوزين

---

[١٥٤] أُنْظُرْ: «الحركة المسكونيّة»، رقم ١٤.

[١٥٥] تأمُّل في كنيسة الفاتيكان، بحضور ديمتريوس الأوّل، رئيس أساقفة القسطنطينيّة والبطريرك المسكونيّ (٦ كانون الأوّل ١٩٨٧)، رقم ٣؛ أُنْظُرْ أيضًا: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٨٠، ١٩٨٨، ص ٧١٤.

المنازعات العقيمة، لا هَمَّ لنا إلّا إرادة المسيح بشأن كنيسته، مستسلمين لسماع ندائه «ليكونوا بأجمعهم واحدًا... ليؤمن العالمُ بأنّك أنت أرسلتَني» (يو ١٧، ٢١)؟

(شركة جميعِ الكنائس الخاصّة مع كنيسة روما، شرطٌ ضروريّ للوحدة)

٩٧– إنّ الكنيسة الكاثوليكيّة، في العمل كما في نصوصها الرّسميّة، تؤكّد أنّ شركة الكنائس الخاصّة مع كنيسة روما، وشركة أساقفتها مع أسقف روما، هي شرطٌ أساسيّ – وفقًا للتّدبير الإلهيّ – للشّركة الكاملة والمرئيّة. لذا، يجب أن يُعبَّر بوضوح عن ملء الشّركة، والإفخارستيّا هي الإفصاحُ السِّرّيّ الأسمى عنها، في خدمةٍ يعرف الأساقفة فيها بعضهم بعضًا مُتّحدين في المسيح، وحيث يجد جميعُ المؤمنين تثبيتًا لإيمانهم. القسمُ الأوّل من سفر أعمال الرّسل يُبرِز بطرس متكلّمًا باسم مصفّ الرّسل، وخادمًا لوحدة الجماعة – مع احترام سُلطة يعقوب، رئيس كنيسة أورشليم. ودورُ بطرس هذا ما زال ضروريًّا في الكنيسة كي تبقى بوضوحٍ في العالم، تحت رأسٍ واحدٍ هو المسيح يسوع، شركةً لجميع تلاميذه.

أليس عن ضرورة خدمةٍ من هذا النّوع يُعبّر اليوم الكثيرون من الملتزمين العمل المسكونيّ؟ الرّئاسة في الحقيقة وفي المحبّة كي لا تُزعزِع العواصفُ المركب – وهو الرّمز الجميل الّذي اختاره مجلس الكنائس العالميّ شعارًا له – فيستطيع يومًا أن يرسو إلى الشّاطئ.

(الوحدة الكاملة والتّبشير بالإنجيل)

٩٨– لقد وُسِمَت الحركة المسكونيّة في عصرنا، وبشكلٍ أكبر من محاولات القرون الماضية الّتي يجب، مع ذلك، ألّا ننتقص قدرها، بطابع البُعد الرّسوليّ. في الآية الواردة في إنجيل يوحنّا الّتي تُعطي البعد الرّسوليّ وحيَه وشعارًا لعمله – «فليكونوا بأجمعهم واحدًا... ليؤمن العالمُ بأنّك أنت أرسلتَني» (١٧، ٢١) – أشير إلى العبارة «ليؤمن العالم» بكثير من القوّة، إلى حدّ التّعرُّض لخطر النّسيان أحيانًا، أنّ الوحدة، في فكر الإنجيليّ، هي بالأخصّ لمجد الآب. ومهما يكن، إنّه لَمِن الواضح أنّ انشقاق المسيحيّين هو في تناقضٍ والحقيقة الّتي من رسالتهم أن ينشروها، وهو يفسد كلّيًّا شهادتهم.

لقد فَهِم سَلَفي البابا بولس السّادس ذلك جيّدًا عندما كتب إرشاده الرّسوليّ **واجب إعلان الإنجيل**: «أيّها المبشّرون بالإنجيل، علينا أن نُقدّم للمؤمنين بالمسيح، لا صورةَ أناس منقسمين تُفرّقهم نزاعات لا تبني البتّة، بل صورة أُناسٍ ناضجين في الإيمان، قادرين على التّلاقي، بعيدًا من التّوتُّرات الحقيقيّة، بفضل البحث المشترك والنّزيه والمُتجرّد عن الحقيقة. نعم، إنّ مصير التّبشير بالإنجيل مُرتبطٌ كلّ الارتباط بشهادة الوحدة الّتي تؤدّيها الكنيسة. [...] حول هذه النّقطة، نودُّ أن نُشدّد على علامة الوحدة بين جميع المسيحيّين كسبيلٍ وأداةٍ للتّبشير بالإنجيل. إنّ انقسام المسيحيّين هو أمرٌ واقعٌ خطير يستطيع أن يُشوّه عمَلَ المسيح نفسه»[١٥٦].

---

[١٥٦] أُنْظُرْ: الإرشاد الرّسوليّ، **واجب إعلان الإنجيل**، ٨ كانون الأوّل ١٩٧٥، رقم ٧٧؛ أُنْظُرْ أيضًا: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٦٨، ١٩٧٦، ص ٦٩؛ أُنْظُرْ أيضًا، «الحركة المسكونيّة»، رقم ١؛ **دليلٌ لتطبيق**

كيف يُمكن، في الواقع، إعلان إنجيل المصالحة من التزام العمل، في الوقت نفسه، لأجل مصالحة المسيحيّين؟ وإذا ما كانت الكنيسة حقًّا، بدافعٍ من الرّوح القدس وبوعدٍ ألّا يُقضى عليها، قد بَشّرت وما زالت تُبشّر بالإنجيل جميعَ الأمم، فإنّه من الصّحيح أيضًا أنّ عليها أن تُناهض المصاعب النّاجمة عن الانشقاقات. وإذا ما واجه غيرُ المؤمنين مُرسَلين على اختلافٍ فيما بينهم، وإن كانوا جميعًا يَدّعون الانتماء إلى المسيح، فهل سيعرفون أن يتقبّلوا الدّعوة الأصيلة؟ ألن يظنّوا أنّ الإنجيل هو عاملٌ للانقسام، حتّى إذا قُدِّم كشريعة أساسيّة للمحبّة؟

٩٩– عندما أؤكّد، أنّ التزام العمل المسكونيّ بالنسبة إليّ، أنا أسقف روما، يُعَدّ «إحدى الأولويّات الرّاعويّة» لحبريّتي[١٥٧]، أفكّرُ في العائق الخطير الّذي يُشكّله الانقسام أمام إعلان الإنجيل. فالجماعة المسيحيّة الّتي تؤمن بالمسيح، وترغب بحرارة الإنجيل، في خلاص البشريّة، لا يُمكنها بأيّ شكلٍ من الأشكال أن تُغلق ذاتها في وجه نداء الرّوح الّذي يُوجّه جميع المسيحيّين إلى الوحدة الكاملة والمرئيّة. إنّ في ذلك لأحَد مستلزمات المحبّة الواجب اتّباعه من دون تحفُّظ. ليس العملُ المسكونيّ قضيّةً داخليّة تعني الجماعات المسيحيّة وحدها؛ إنّه يعني الحبّ الّذي يَخصّ به الله البشريّة جمعاء في يسوع المسيح. فمن أعاقَ الحبّ، أهان الحبَّ في تدبيره بأن يجمع البشر

مبادئ الحركة المسكونيّة وقواعدها، مرجع سابق، الأرقام ٢٠٥–٢٠٩؛ أُنْظُرْ أيضًا: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ٨٥، ١٩٩٣، ص ١١١٢–١١١٤.

[١٥٧] أُنْظُرْ: خطابٌ إلى الكرادلة والدّوائر الرّومانيّة (٢٨ حزيران ١٩٨٥) ٤؛ أُنْظُرْ أيضًا: مجلّة «أعمال الكرسيّ الرّسوليّ»، ١٩٨٥، ص ١١٥١.

أجمعين في المسيح. ولقد كتب البابا بولس السّادس إلى البطريرك المسكونيّ أثيناغوراس الأوّل: «لعلّ الرّوحَ القدس يُرشدنا إلى طريق المصالحة كي تُصبح وحدةُ كنيستَيْنا علامة رجاء وتعزية دائمة الإنارة في حضن البشريّة جمعاء»[١٥٨].

(إرشاد)

١٠٠– منذ عهد قريب، وجَّهْتُ رسالةً إلى أساقفة الكنيسة الكاثوليكيّة وإكليرسها ومؤمنيها بغية رَسْم الطّريق الواجب اتّباعها للاحتفال بيوبيل سنة ٢٠٠٠ العظيم، فأعلنتُ من بين ما أعلنت أنّ «أفضل تهيئة لحلول العام الألفين لا يُمكن أن يُعبّر عنها **إلّا بالتزامٍ مُتجدّدٍ بتطبيق التّعليم الفاتيكانيّ الثّاني، بقدر ما أمكن من أمانة، في حياة كلّ فردٍ** وحياة الكنيسة جمعاء»[١٥٩]. إنّ المَجمع هو البداية الكبرى – نوعٌ من التّحضير (*Avent*) – لمسيرةٍ تقودنا إلى عتبة الألف الثّالث. نظرًا إلى الأهميّة الّتي خصّت بها الجمعيّةُ المَجمعيّة عَمَلَ إعادة تنظيم وحدة المسيحيّين، في عصرنا، عصر النّعمة المسكونيّة، تبيّنت لي ضرورة طَرْحِ اقتناعاتٍ جوهريّة نَقَشَها المَجمع في ضمير الكنيسة الكاثوليكيّة، وإعادة التّذكير بها، في ضوء ما أحرز من تَقدّمٍ منذ ذلك الحين، في سبيل شركة جميع المعمَّدين الكاملة.

لا شكّ في أنّ الرّوح القدس يعمل في هذا المنهج وأنّه يقود الكنيسة إلى كمال تحقيق تدبير الآب، وفقًا للإرادة الّتي عَبَّرَ عنها المسيح بكلّ شدّة وتأثير بالصّلاة الّتي

---

[١٥٨] أُنْظُرْ: **سفر المحبّة**، مرجع سابق ورد في الحاشية ٨٤، التّرجمة العربيّة، ص ٢٦٣.

[١٥٩] أُنْظُرْ: رسالة **إطلالة الألف الثّالث**، الرّسوليّة، مرجع سابق، في الحاشية ٣، رقم ٢٠، ص ٣٠. من التّرجمة العربيّة المذكورة.

تلفّظت بها شفتاه، بحسب الإنجيل الرّابع، ساعة كان يستعدّ لأن يحيا مأساة فصحه الخلاصيّة. كما في ذلك الزّمان، يطلب المسيح اليوم أن تنعش انطلاقةٌ جديدة التزام كلّ فردٍ للمضيّ قُدُمًا في سبيل الشّركة الكاملة والمرئيّة.

١٠١– أُحرّض إذن إخوتي في الأسقفيّة على أن يُوجّهوا كلّ اهتمامهم إلى هذا الالتزام. إنّ **مجموعتَي الحقّ القانونيّ** تُحدّدان أنّ من بين مسؤوليّات الأسقف مسؤوليّة تعزيز وحدة جميع المسيحيّين، بدعمه كلّ عملٍ أو مبادرةٍ تهدف إلى تنشيطها، يقينًا منه أنّ الكنيسة معنيّةٌ بالأمر، وفقًا لإرادة المسيح نفسها[١٦٠]. وذاك جُزءٌ من الرّسالة الأسقفيّة، وفَرضٌ ناجِمٌ مباشرة عن الأمانة للمسيح، راعي الكنيسة. إنّ روح الله يدعو أيضًا جميع المؤمنين كي يبذلوا جهودهم لتَمتين روابط الشّركة بين المسيحيّين وتنمية تعاون تلاميذ المسيح: «إنّ الاهتمامَ ببناء الوحدة فرضٌ على الكنيسة كُلِّها جمعاء، سواءٌ في ذلك المؤمنون والرّعاة؛ ويُلزِمُ كلَّ واحدٍ بحسب طاقاتِه»[١٦١].

١٠٢– إنّ قدرة روح الله تنمّي الكنيسة طوال القرون وتبنيها. بتطلُّعها إلى الألف الجديد، تسأل الكنيسةُ الرّوح نعمة تثبيتِ وحدتها وتنميتها نحو ملء الشّركة مع المسيحيّين الآخرين.

كيف السّبيلُ إلى ذلك؟ أوّلًا، **بالصّلاة**. على الصّلاة أن تأخذ دومًا على عاتقها القلق الّذي يُعبّر عن توقٍ إلى الوحدة، وهو أحد المظاهر الضّروريّة للحبّ الّذي نكنّه

---

[١٦٠] أُنْظُرْ: **مجموعة الحقّ القانونيّ**، ق ٧٥٥؛ **مجموعة قوانين الكنائس الشّرقيّة**، ق ٩٠٢.

[١٦١] أُنْظُرْ: «الحركة المسكونيّة»، رقم ٥.

للمسيح وللآب الكلّيّ الرّحمة. وللصّلاة يعود المقام الأوّل في المسيرة الّتي نقوم بها مع المسيحيّين الآخرين نحو الألف الجديد.

كيف السّبيلُ إلى ذلك؟ **بالحمد والشّكر**، لأنّنا لا نتقدّم إلى هذا اللّقاء فارغي الأيدي: «إنّ الرّوحَ يأتي لنجدة ضُعفنا؛ ... ولكنّ الرّوح نفسه يشفع لنا بأنّاتٍ لا تُوصَف» (رو ٨، ٢٦) كي يُهيّئَنا لأن نسأله تعالى ما نحتاج إليه.

كيف السّبيلُ إلى ذلك؟ **بالرّجاء** في الرّوح الّذي يعرف أن يقصي عنّا أشباح الماضي وذكريات الفرقة الأليمة؛ إنّه يعرف أن يمنحنا وضوح الرّؤية والقوّة والشّجاعة كي نُقدِم على المساعي الضّروريّة، بحيث يكون التزامنا على الدّوام أكثر أصالةً.

وإذا ما وَجَبَ أن نتساءل هل هذا كلّه مُمكن، يكون الجواب على الدّوام: نعم! الجواب نفسه الّذي سمعَته مريم الّتي من النّاصرة: «ما من شيء يُعجِز الله» (لوقا ١، ٣٧).

وتُراود فكري الأقوال الّتي شَرَحَ بها القدّيس كبريانوس «الأبانا»، صلاة جميع المسيحيّين: «لا يتقبّل الله ذبيحة الإنسان العائش في انشقاق. إنّه تعالى يأمر بأن نُغادر المذبح ونذهب أوّلًا ونُصالح إخوتنا، كي يستجيب الله الصّلوات المقدّمة في السّلام. إنّ أعظم ذبيحةٍ يُمكن أن نُقدّمَها لله هي صلاتنا، هي الوفاق الأخويّ، هي الشّعب الّذي تجمعه تلك الوحدة القائمة بين الآب والابن والرّوح القدس»[١٦٢].

[١٦٢] أُنْظُر: في الصّلاة الرّبّانيّة (*De Dominica oratione*)، رقم ٢٣: CSEL 3, 284-285.

عند فجر الألف الجديد، كيف لا نسأل الرَّبّ، باندفاع متجدِّد وبنُضج للضّمير أعظم، نعمة الاستعداد جميعًا لذبيحة الوحدة؟

١٠٣– أنا، يوحنّا بولس، خادم خدّام الله الوضيع، أسمح لنفسي بأن أتبنّى أقوال الرّسول بولس الّذي باستشهاده، وقد اتّحد باستشهاد الرّسول بطرس، أعطى كرسيّ روما هذا بهاء شهادته، فأقول لكم، أنتم يا مؤمني الكنيسة الكاثوليكيّة، وأنتم، يا إخوة وأخوات الكنائس والجماعات الكنسيّة الأخرى:

«اِفرحوا وانقادوا للإصلاح والوَعظ، وكونوا على رأيٍ واحد وعيشوا بسلام، وإلهُ المحبّة والسّلام يكون معكم... ولتكُن نُعمة ربّنا يسوع المسيح ومحبّةُ اللهِ وشركةُ الرّوح القدس معكُم جميعًا» (٢ قو ١٣. ١١ و١٣).

أُعطيَ في روما، قرب القدّيس بطرس في ٢٥ أيّار ١٩٩٥، يوم الاحتفال بصعود الرَّبّ، في السّنة السّابعة عشرة لحَبْريّتنا.